جُنُوْدُ البَحْر

نصوص

حسين جرود

2023

إلى القتلة واللصوص والدجَّالين

فهُم وحدَهم من يصنع التغيير

في هذه البلاد...

الأبنيــة التــي تتكـون مـن ثمانيــة أدوار تمنحنــي الأمـل بـأني قـد أنتحـر بعـد سـنتين، أمـا الأبنيـة ذات التسـعة أدوار فهـي أقسى الخيبات...

القسم الأول:

جنود البحر

يُقال إن الإنسان لا يستطيع أن يقول أكثر من 100 كلمة في الدقيقة، ولكن من يلعب «جنود البحر» ينطق بأكثر من 100 شتيمة. كيف قضيتُ سبع سنوات وأنا ألعب هذه اللعبة؟ لا أعرف.

*

من اعتاد أن يعمل في السجن يظن أن النوم جريمة... مع أن النوم هو الحرية الوحيدة المتاحة.

*

كيف أصبح ملايين الأشخاص يعيشون في سجن صغير كهذا؟ لا أحد يذكر.

*

الجواب بسيط:

الحياة بحد ذاتها استعارة.

*

بدأت القصة يوم بدأ الناس يتحوَّلون إلى وحوش، وبعدها صرنا نهربُ منهم، ولكن كان الوباء ينتشر حولنا، وأصبحنا محاطين بمن تحوَّلوا إلى وحوش ويريدون قتلنا، ومن تحوَّلوا إلى وحوش، ويدَّعون حمايتنا...

المشكلة ليست فيهم بل فينا، فأخي الصغير أول من ذهب، وانضم إلى الوحوش التي تدَّعي حمايتنا، ومات بسرعة... بسببه حصلتُ على وظيفة في زمنٍ لا يجد فيه أحد عملًا.

أعمل في قسم الاستقبال في مستشفى كبير، وتقريبًا لا أفعل شيئًا، وأحيانًا أجد وقتًا لألعب «جنود البحر». ولكن كي لا يُشتتني أحد عن اللعبة، بعد عودتي من العمل، لا أعود إلى البيت، حيث زوجتي وأطفالي وأمي وأبي، بل أذهب إلى متجرٍ افتتحتُه لبيع قطع الكمبيوتر.

لن تجد في المتجر شيئًا كثيرًا. فقط بضع لوحات مفاتيح، وفأرات، وحقائب، وإكسسوارات للهواتف المحمولة. في الحقيقة، إنه واجهة لأمارس اللعبة كما أريد. هنا نجتمع أنا وأصدقائي، أو يلعبون من منازلهم وأبقى هنا وحدي.

استمر هذا الحال طويلًا؛ سبع سنوات بطولها، حتى خسرتْ الوحوش التي تحمينا شيئًا من الحرب، وأفرِغت مدينتنا بالكامل من سكانها، وتفرَّقوا في الأنحاء.

انتقلنا إلى مدينة أخرى بعيدة. المدينة ذاتها التي انتقل إليها طاقم المستشفى برمَّته. بسرعة عادت المستشفى إلى وضعها، وكذلك البيت، ولكن كان من المستحيل

إعادة إحياء متجر الكمبيوتر. وشيئًا فشيئًا، توقَّفتُ عن اللعب.

بتُّ أعود من العمل لأنام، وأنام، وأنام... حتى حدث الزلزال الأخير. زلزال طبيعي هذه المرة، دمَّر بيتي الجديد والمستشفى وقتل كثيرًا من الناس، فاستيقظتُ. خرجنا يومها بسرعة، والهزات الارتدادية ما تزال تفعل فعلها في الأنحاء، وتقتل المزيد... لماذا أنا مستعجل؟ أريد العودة إلى اللعبة. أنا الآن أجلس في خيمة، وألعب «جنود البحر».

ملاحظة: مدير المستشفى مات في الزلزال.

(عزيزي القارئ.. أنتَ كنتَ تريد بداية قوية، وقد تقول لنفسك الآن، أو لأصدقائك في مجموعة واتس أب: «أهذا ما اصطاده لنا؟ شخص رمادي مدمن على لعبة إلكترونية!». على الأقل لقد تعرفتَ الآن على طريقتي في الكتابة؛ الكتابة الأولى قبل وضع الفلاتر. سنتحدث بعد قليل عن شخصيات أخرى، وطبعًا تستطيع الانسحاب).

باستر[1]

هي: هل إذا سمعنا أغنية مرة وصدَّقناها، ينتهي مفعولها؟
هل الأغاني يمكن أن تُستهلَك؟

يخرج الأرنب من قوس قزح، ويقفز... يقفز على رؤوس الفئران، فتموت. يجرب أن يركض بسرعة، ثم ينزلق... يسقط فوق الأشواك، ويموت.
يخرج الأرنب من قوس قزح، ويسير على أرض عشبية تبدو لطيفة، ولكن كل خطوة يخطوها قد تسبب موته... يسير ببطء، وكلما رأى فأرة، يقفز على رأسها فتموت، ثم يجرب أن يركض أسرع؛ يريد أن يثبت النظرية النسبية للأرانب: «**إذا ركضتَ بسرعة كبيرة ثم انزلقتَ، سيكون اصطدامك بالفأرة – حينها – أسرع من قدرتها على عضِّك**». أليس هذا أفضل من قفزته الاعتيادية، ولكن هذا يتطلب مساحة، غير متوفرة في هذا السهل، عندما يتسلق أحجار الأبنية المبعثرة... يقطع السهل حذرًا، وهذا يناقض طبيعة الأرانب البسيطة، أو يجري مسرعًا كهارب سعيد، ربما يشابه طبيعة الأرانب أيضًا.

يدخل إلى الغابة، التي كانت –إضافةً إلى ما تحويه من أعداء– متاهة حقيقية. وكلما عاد إلى مكان، يراه دون حراس، فيعرف أنه مرَّ من هنا. عندما خرج من الغابة أول مرة، واجه أول تحدٍ حقيقي؛ ظن أنه اقترب من

[1] نُشر هذا النص في موقع بلا رتوش بتاريخ 8 مايو 2022

الهدف، ليصل إلى الكهوف المظلمة، التي تحوي حفرًا وأماكنَ يصعب تسلقها. كان -كل يوم- يحاول، ثم يعود.

هل يعلن عجزه؟

هل يستسلم؟

حتى جرَّب مرة أن يقفز ليلمس الجدار، وفي لحظة ملامسته، يقفز مرة أخرى، وعندما يلمس جدارًا آخر، يقفز مرة ثالثة، وبهذا يصل إلى تجويف أعلى من الكهف.

أتتْ بعدها البراكين، وكان أي انزلاق يعني موته، حتى تجاوزها وقطع البحر سباحة، أو في السفينة، أو فوق الغيوم كفكرة سارحة. حتى وصل إلى بلاد في الشمال الغربي يغمرها الثلج، وعليه أن يعود جنوبًا، ليصل إلى المصنع الرئيسي في المدينة، الذي كان قريبًا من مكان انطلاقه الأول في السهل. كان الانزلاق في الثلج سهلًا، ما يعني أن مجرد الوقوف، والثبات، أمر مستحيل... في النهاية، وصل إلى المصنع الرئيسي متعبًا.

المصنع مليءٌ بالفخاخ الكهربائية، وهذه المرة، كان كل خطأ يعني موته، ورميه خارج المصنع كله ليعود من جديد. وعندما سيطر على المصنع، ووصل إلى صديقته «بابس»، كانت قد مضت خمسة أشهر.

يتذكَّر سامر كيف أمضى خمسة أشهر لينهي اللعبة أول مرة، بينما يستطيع الآن إنهاءَها كل صباح، ولا تستغرق سوى ساعات قليلة. هل يحس باستر بذلك؟ هل يدرك

الفـرق؟ هـل إذا قطعـت بـلاد الأمنيـات هاربًـا مسـتعجلًا يسـاوي تحقيـق أحلامـك؟ ألـم تكـن المسـافة قصـيرة بـين المصـنع والسـهل العشـبي، بينمـا كـان علـى باسـتر أن يقطـع المسـافات جنوبًـا وغربًـا وشـمالًا، ليعـود إلـى هنـاك، وسـواء مـات أو وصـل، عليـه أن يخـرج مـن قوسـه كـل مـرة، ليدخل في قوس آخر.

يقـول المهنـدس فـي المصـنع: «باسـتر هـو فكرتـي، وعليـه دائمًا أن يدمِّرني، ويبقى هو، ولو كفكرة».

تقـول بـابس: «أنـا لسـت مثـل باسـتر. فـي النهايـة، يصـل دائمًـا متعَبًـا ويقبِّلنـي، ربمـا تتخيَّلـون أن إحـدى القـبلات تمتلـك قـوة السـحر، وسـتحرِّره. ولكنـي صـورة فقـط عمـا يرغـب فيـه؛ كـل مـرة يصـل باسـتر جديـد، وأكـون أنـا بـابس أخرى».

يتساءل الكاتب: لماذا باستر لا يتكلم؟

يقـول المهنـدس فـي المصـنع: «أنـا المُـدمَّر فـي نهايـة كـل لعبـة، الثابـت الوحيـد فـي المعادلـة. أنـا لا أظهـر جيـدًا، بـل أختفـي فـورَ ظهـوري، ولكـن فكرتـي تبقـى علـى جميـع الأجهـزة فـي العـالم، وكلمـا أعـدتَ اللعبـة، سـواءً أنهيتَهـا أو لم تفعل، يبقى لها الأثر ذاته».

تقول بابس: «ولكن بعض القبلات لها قوة السحر».

بينمـا يُعـرض فـيلم –أمـام جمهـور غيـر مرئـي أو فـي خيـال البطلـين– عـن حيـاة لطيفـة مـع أصـدقاء فـي بـلاد الأمنيـات، يعـرف باسـتر أنـه لـن يسـتيقظ هنـاك، بـل

سيستيقظ في النقطة الأولى التي بدأ منها، كأن حياته جملة اعتراضية طويلة؛ لا تستطيع أن تزيد عليها حرفًا، وإلا سقطتْ وفقدتْ معناها.

إن باستر الذي بدأ المغامرة، عندما خرج من قوس قزح أول مرة، قادمًا من قصة أخرى، هو باستر آخر، لم يعد له وجود. هل تستطيع القبلة أن تفعل شيئًا، وتنقذه، ليجدَ نفسه في عالم ثالث أو رابع؟ وهل ستكون بابس معه أم أن قصتهما انتهت هنا؟

يُخرج سامر شريط اللعبة.

خلايا نائمة[2]

1

عدد الذين يتكلمون مع أنفسهم في الشارع قليلٌ جدًا، وهو بالتأكيد أقل ممن لا يفعلون، ولهذا يلفتون الأنظار.

لكن يجب ألا تكون نسبتهم شبه معدومة، أو تنحصر بأشخاص محددين؛ يجب أن تكون لهم نسبة ثابتة، تتحرك -ولو ببطء- على الرسومات البيانية، ولو كانت 1 بالألف أو بالعشرة آلاف.

قد تتساءل عندها: ما الفرق؟

فورَ أن يحتلوا نسبة واضحة (ولو كانت 1 بالألف)، فهذا يعني أنه يمكن أن يكونوا 3 بالألف أو 4، وبعدها، بقفزة صغيرة، تُحتسب الـ 5 بالألف 1 بالمئة، ويبدأ انهيار النظام.

2

كانت الشوارع شبه خالية، عندما خرج مساء يوم الجمعة منذ شهرين، وعَبَر السوق المغلقة. معظم محلاته كانت مغلقة أيضًا. وقبل أن يكتمل مشواره البسيط، ويخرج من الطرف الآخر، وجد نفسه أمام ثالث شخص يتحدث مع نفسه في ذلك اليوم، ما جعله يبدأ الاستعداد للخطوة التالية. طبعًا لم يخطر في باله -وقتها- أنه يوم بارد

[2] نُشر هذا النص في موقع رابطة الكتاب السوريين بتاريخ 5 أبريل 2023

وممـل، لا يمكـن أن يخـرج فيـه إلا مـن يتكلَّمـون مـع أنفسهم، أو يستمعون لهم.

3

مـرَّ فـي طريقـه علـى عصـام الـذي كـان بالتأكيـد داخـل المنـزل، ولـم يفـتح رغـم كـل طرقاتـه الهوجـاء. يقضـي عصـام معظـم وقتـه نائمًـا، ورغـم كـل التحـذيرات التـي أتتـه بأنـه مكشـوف، لا يأخـذ حـذره... ومـا زال يتصـرف بتلقائيـة، مـع أن البلـد كلهـا صـارت تعـرف أنـه مـن الخلايـا النائمة.

4

- هذا اسمه تهريج... كل نهار نوم
- أأنت واثق أنه ثقب أسود؟
- ثقـب أسـود مثـل العـادة، وكـأني غريـب عـن الثقـوب السوداء.
- ثقـب أسـود عـادي؟ فـي طرفـه الآخـر كوكـب مـدور يعيش فيه ناس يسيرون على قدمين؟
- وكأنهـا أول مـرة نـذهب فيهـا إلـى عـالم ثـاني، لنـا عمر في هذه البلاد، نعرفها ثقب ثقب.

5

إنـه عـالم مصـطنع وصـورة منفوخـة، جثـة انتهـت منـذ زمـن طويـل... لمـاذا نسـتمر فـي يـوم جديـد؟ لمـاذا نتجاهـل حقيقـة

أننـا أصـبحنا حيوانـات مدجَّنـة؟ مـر هـذا السـؤال فـي ذهنـه يومًـا، ولـم يسـتوقفه، ولكـن عنـدما يفكـر فيـه الآن، وهـو شخصـية فـي حكايـة تواجـه تحـديات، يجـد بعـض المغـزى. مـن المؤكـد أنـه فـي الواقـع لـيس حتـى صـديق البطـل. لسـنوات كـان لا يقـيم وزنًـا لتلـك الحيوانـات... بينمـا عليـه أن يفعل ذلك الآن.

6

- بابا لماذا لا يوجد لدينا جبن؟
- أتعـرف لمـاذا سـمي جبنًـا... لأن لا أحـد يأكلـه سـوى الجبناء.

لـم يعـرف الابـن معنـى كلمـة «الجبنـاء»، فهـو يشـاهد بـرامج أطفـال تختلـف عمـا يشـاهده والـده، ويعـيش فـي شخصـيات أخرى.

7

صوت انفجار.

انقلاب[3]

لا تعـرف معنـــىً لحياتــك دونَ شــوارعَ تقصــدها؛ دون نقــاطٍ وعلامـــات، مـــا زال الإنســـان يحمـــل غرائـــزه معـــه ويضـــع نقاطًـــا كالحمـــام الزاجـــل، أو كالدببـــة والحميـــر لتمييـــز الأمـاكن، ليعـرف أيـن يمكـن أن يجـد مـلاذًا، وأيـن يمكـن أن يمـــارس الخمـــول، أو أن يبحـــث عـــن عشـــيقة، أو أن يغيـــر شـكل عالمـه ولـو بتغييـر متكـرّر بـين أمـاكن متتاليـة يزورهـا كل يوم.

وبينمـــا تعـــيش الحيوانـــات هـــذه العلاقـــة بعفويـــة كبيـــرة دون حـواجز أو حـدود، علينـا نحـن البشـر أن نمارسـها مـن وراء حجـــاب. فـــلا نســـتطيع أن نســـير فـــي الشـــوارع دون حـــذاء، بـــل وجـــوارب أيضًـــا. لهـــذا ظهـــرت مشـــكلة كبيـــرة عنـــدما مسخَنا الله قردة وخنازير.

وبينمـــا تتقـــدَّم خطوتـــك وأنـــت تفكِّـــر فـــي مشـــاريعَ كبيـــرة لمســـتقبلك الجميـــل وتحلـــم فـــي ســـماءٍ أخـــرى، تشـــعر أن أصـــابع قـــدميك تبلّلـــتْ! أنـــت تســـير بـــبطء، وتنتبـــه للمســتنقعات، وتعــدُّها! نعــم أنــت تفكِّــر فــي الســماء، ولكــن نظـرك 24 سـاعة علـى الأرض، بكـل تأكيـد لـم تغفـل شـيئًا، ولكن المشكلة أن حذاءك مثقوب أو أكثر من ذلك قليلًا.

مـــن ميِّـــزات الأحذيـــة أنهـــا لا تبـــالي وتســـتطيع أن تتحمَّـــل، حتـــى الجـــوارب تشـــتكي وتـــئنُّ وتســـعل وتتعـــرَّق، أمـــا الحـــذاء

[3] نُشر هذا النص في موقع رابطة الكتاب السوريين بتاريخ 25 يناير 2021

فهـو أرض فـوق الأرض، تسـير بمـا قـدِّر لهـا، دون أن تأبـه بالعواصف والأنواء.

مـع أن لـه جلـد، ولكنـه لـيس مثـل جلـدنا، ولـيس مثـل جلـد الطبـل، أو حتـى جلـد التمسـاح. جلـد الأحذيـة خُلِـق محاربًـا، لا يهـاب الصـعاب ولا حـل لـه إلا بإرسـاله إلـى الجحـيم فـي مــدافئ الحطــب، وإلا سيســتمر إلــى أبــد الآبــدين، وقــد يصبح سيد هذا الكوكب.

عنـدما تعـدُّ الملامـح المميـزة لبيـت قـد تغـرُّك النباتـات أو المســاحات أو حتــى الســكان، دون أن تنتبــه إلــى أن مــا صــنع المســاحة، وحمــلَ الســكان، وســوف يقضــي علــى النباتات، هو سيِّد الموقف وصاحب البيت.

يقـال إن الإنسـان يتـنفّس مـن جلـده وإن المصـابين بحـروق خطيـرة يشـعرون بضـيق التـنفس، ولكـن تكمـيم الأفـواه هـو مـا أشـعر بـه وأنـا أرتـدي هـذا الحـذاء الجديـد. ليسـت مسـألةَ أن التعـب تسـرَّب بسـرعة أو أن سـاقاي أصـبحتا كقطعتـين مـن الخشـب. أظـنُّ أنـي لـم أعـد هنـا، أنـا فـي مكـان آخـر، وهنا يستوطن هذا المحتلُّ الغريب.

كانـت هـذه المحاولـة الثالثـة لارتـداء الحـذاء الجديـد، خـلال أسـبوعين، ولا أعـرف هـل سـأرميه فـي مـدفأة الحطـب أم أمارس به عقوبة الإعدام شنقًا.

كـل يـوم، قبـل أن أخـرج، أجـد نفسـي تلقائيًـا أمـام خيـار سهل وأنحاز إلى الحذاء القديم.

استمرت علاقتنا ثلاث سنوات، لم تعد الوجوه هي الوجوه، ولا الظروف هي الظروف، ولكن ما يربط بيننا أصبح خلف المظاهر والأحوال.

لكن اليوم، بينما كان ذلك الرجل ينظر نحو أقدام طفلة عندما كنا نجلس على طاولة أمام مقهى، أحسستُ أن أقدامي أصبحت عملاقة وأنها الشيء الأكثر مرئية في ذلك الشارع، كأن قدماي قاربان ضخمان في ذلك النهر العريض الضحل.

لا أعرف لماذا يظنون أنفسهم أفضل من حذائي، أنا أستطيع أن أتخلَّى عن أيِّ واحدٍ منهم ولكنّي فشلت مرارًا في التخلي عنه. مرارًا في التخلّي عنه.

إلى إدغار آلان بو[4]

لا أعـرف سـرَّ الخـوف الكبيـر مـن الجريمـة الكاملـة الـذي يعــود بجــذوره إلــى أحلامنــا الطفوليــة بالعدالــة والعــالم الـوردي، ولكـن الصـفات التـي أردنـا توفُّرهـا فـي هـذا العـالم قد لا تكون بالضرورة الصفات المتوفِّرة فيه حقًّا.

أو بـالأحرى أننـا نفتـرض أن حلمنـا الجاهـل دومًـا سـيكون قادرًا على تغطية عري الأيام بحاضرها ومستقبلها.

أي أننـا كالعـادة نعطـي ثقـة كبيـرة لحكمنـا علـى الأشـياء حتـى نظـنّ أن الأشـياء هـي كمـا نحلـم بـه فعـلًا، ومـن ذلـك أن العدالة وانكشاف الظلم وزوال الالتباس شيء جيد.

مـع أننـا نعـيش الالتبـاس فـي كثيـر مـن تفاصـيل حياتنـا وتتـداخل الأمـور فـي أدمغتنـا أكثـر ممـا نتصـوَّر، ونعطـي قبعة فلان لفلان دون أن ننتبه.

عنـدما كنـت صـغيرًا كنـت أظـن أن جـارة عمتـي لهـا شـكل معلمـة أختـي مـع أننـي لـم أرَ تلـك الجـارة أبـدًا، واسـتمرَّ ذلـك لسـنوات حتـى تعرفـت علـى ابـن تلـك الجـارة الـذي لا يشـبه أمـه. كـان شـباك المدرسـة يطـلُّ علـى منـزل الجـارة وكـان أولاد المدرســة يشــاهدون أم صــديقي وهــي تمســح الأرض وأنا لا أستطيع أن أراها

كي لا ينفجرَ دماغي.

---

[4] نُشر هذا النص في موقع رابطة الكتاب السوريين بتاريخ 22 مارس 2021

أو يوم بصقتُ بلا ذنب على شاب يسير في الشارع؛ كان عمري عشر سنوات وكان في مطلع حارتنا عائلة شريرة، ويومًا ما أخبرني أخي الصغير أن أحد أبناء تلك العائلة صرخ فيه عندما كان يمرُّ أمام منزلهم ووجَّه له كلمات تهديد...

كنت أسير مع والدي ورأيت شابًا يمرُّ وقام دماغي باستنتاج سريع

ووقعتُ في الفخ.

وبينما تبدو تلك الالتباسات بسيطة أستطيع بسهولة أن أقصَّ عليك مع بعض التحريف قصة أعقد، ولكن لنبق الأمور على طبيعتها، ومع أني لا أحب الانسياق إلى التشابه البسيط الذي يجعل شخصين يشبهان بعضهما في الوجه -فهذا ليس موضوعنا- حتى لو قال لك أحدهم إنك تشبه شخصًا آخر، فهو لا يقصد بذلك أكثر من المزاح.

لكن جاري حاليًا يشبه في الشكل شخصًا يتحرَّش بالأطفال مما يجعلني لا أرتاح له رغم طيبته.

لنترك هذا الآن، ولنركز على الالتباس الذي يعيشه الآخرون، الذي يجعلنا ننجو حاملين غنيمتنا بعد أن نكون قد ارتكبنا جريمتنا الكاملة.

هل تظن أني سأكشف لك شيئًا من هذا؟ أنتَ مخطئ.

أخشـــى أن يهــرب النـــاس مـــن الســكن بجـــانبي بعــد هــذا المقــال. لكـن الجيـران والمعــارف هـم الأســهل فــي قصـص الالتبـاس فـلا يعقـل أن لا يميـز المـرء بـين أقاربـه وأصـدقائه إلا إذا كان يعيش الجريمة الكاملة.

مَي[5]

وضعتُ في مسدسي ثلاث طلقات، وجلستُ أنتظر. لن أسمح لها أن تحبَّني.

أحياناً يؤدي تزامنُ بعض الأمور إلى افتعال علاقات سببيَّة لا جدوى منها، كربط تغير مصدر المياه بانتشار مرض معين، ومع أن كل متَّهم بريء حتى تثبت إدانته، فقد كنتُ يومَها غرًّا أمام محامٍ شرس. كنت أنتظرُ بدْءَ المحاضرة، عندما وصلتني رسالة على الموبايل، لا أعرف مصدرها ولم أفهم ما جاء فيها. بدأتِ المحاضرة لتتوقف كلَّ خمس دقائق بسبب الأصوات القادمة من الخارج، التي ما لبثت أن ترافقت بإطلاق نار متقطِّع. بعد فترة، ظننَّا أن الأمور مستقرة وربما فكَّر المدرِّس بإتمام ما يكتبه، عندما اقتحم القاعة عشرة وحوش.

لا أعرف لماذا اختاروا الشخص الجالس بجانبي ونزلوا به ضربًا. إنه كان هنا قبل أن يبدأ كل شيء. انسللت بخفة، وجلست في مقعد آخر. لم أتدخل كما فعل اثنان أو ثلاثة لينالوا نصيبهم. لكنني لم أستطع إخفاء ابتسامتي التي تسببت بلكمة على أسناني.

إنه منهم، وقد اعتذروا منه في اليوم التالي، والرسالة من مي التي قضيت شهورًا طويلة بالهروب معها.

مي على الهاتف تشبه الممثلة كاريس بشار، جميلة ومثقفة، ولكن الشيء الذي لم أستوعبه: لماذا تحبُّني؟

[5] نُشر هذا النص في موقع بلا رتوش بتاريخ 7 أبريل 2018

تحـــدَّثنا كـــل يـــوم لســـاعات عـــن طفولتنـــا وأحلامنـــا.. المظــاهرات والقمــع. كانــت مراسِــلتي التــي لــم يغــب عنــي شــيء فــي حضــورها، إنهــا تعرفنــي جيــدًا وتثــق بــي، أنــا الــذي لــم أعــرف عنهــا شــيئًا. ربمــا يكــون اســمها مــزوَّرًا، نعــم إنهــا تــدرس الحقــوق وعمرهــا 23 عامًــا أنــا أعــرف هــذا فحسب.

كنـــت مشـــغولًا فـــي عـــدد مـــن المواضـــيع، أهمهـــا: دوري أبطــال أوروبــا، ومَــي تطلــب أن ترانــي، كمــا أنــي لا أحــبُّ الذهاب إلى الجامعة.

لا أعــرف لمــاذا كنــت أتخيَّلهــا علــى أرض الواقــع ســمينة وقبيحــة، ولا تشــبه مَــي التــي علــى الهــاتف. لا يزعجنــي أنهــا ريفيــة فأنــا أكــره المــدن، ولــم أتوقَّــع يومًــا أن أصــادف فــي طريقــي مَــي زيــادة الحقيقيــة، لكــن أمــر لقائهــا يكبــتُ علــى أنفاسي.

مــع هــذا، اســتمرَّ حــديثنا الجميــل، بــل كــان أجمــل مــا يحــدث فــي تلــك الأيــام. لــدي مراســل يزوِّدنــي بأخبــار الجامعــة، وآخرون يجلبون المحاضرات.

الأمـــور تتغيَّـــر بســـرعة، لا يهمنـــي أن بعـــض أصـــدقائي تركــوا الجامعــة، ولا جــوَّ اللامبــالاة المحــيطِ بــي. بيتنــا علــى حالـــه، ولا يـــأتي دوري فـــي جلـــي الصـــحون إلا كـــل عـــدة أيــام، كنــا أربعــة نلعــب الــورق، باســتثناء شــريكي فــي الغرفــة المـــدمن علـــى الإنترنـــت. رغـــم ارتفـــاع أســـعار الســـجائر، كانت الحياة جيدة.

مــا حــدث، كــان أبســط بكثيــر. كنــت أحضــر مبــاراة بــين تشيلســـي وبرشـــلونة عنـــدما أحـــزر اللاعـــب الإنكليـــزي لامبــارد هــدفًا ثانيًــا إنــه اللاعــب الــذي أســدِّد بــه دائمًــا عنــدما

ألعب فيفا 2008. كانت فرحتي كبيرة كأنني من سدَّد الهدف كما أن تشيلسي لا تفوز على برشلونة كلَّ يوم. لكن يومَها، في السينما المكتظة، لم نجرؤ على إظهار فرحتنا، بل بدأنا نسبُّ ميسي الذي أضاع فرصًا كثيرة، بل خرجنا ونحن نسبُّ ميسي ونتأسَّف على خسارة برشلونة لأننا أردنا أن نخرج بسلام.

انتهت قصتي هنا، عليَّ أن أذهب على الأقل حاليًا، سأترك هذا الجوَّ المكهرب، كما قلت لكم، أنا لا أحب المدن، إن كان يمكن أن نسمي هذه مدينة.

هنالك عدة أمور معلَّقة: الامتحانات.. البيت.. أوه نعم كيف نسيت هنالك مي أيضًا.

رغم كل ما يقال عن قواعد السلطة، وعن ارتباط السلطة بالمعرفة أو بالإمكانيات... لكنها تحبُّني؟! وهذا يعني أنني من أمسك بالسلطة، ومن يجب أن يتصرف.

في اليوم الأول، أخبرتها أن عمري 21 عامًا. في اليوم الثاني، حدَّثتها عن جلسات طبيب الأسنان. في اليوم الثالث، كانت قد تبخّرت قبل أن أضطر لأكذب عليها.

هل أحسَّت بما كنت أنوي أن أقوله؟

بينما أكتب هذا اليوم، أحاول ولا أستطيع أن أتذكر من ربح ذلك الدوري.

فريدة[6]

تقف فريدة على بعد خطوات. ترتجف بطريقة غريبة، فلا يتحرَّك جسدها كلُّه، فقط قلبها وصدرها، وهي تنظر نحو باب المبنى الذي كان على وشك الانخلاع، كأن الباب موصولٌ بقلبها، ويحرِّكه معه.

أقفل المدرِّس باب المخبر، وأنتظرُ أن يفتحه لأنجو بدوري، ولكنه ينتظر موعدًا ما، أو اجتماع من سيجرون تلك التجربة، التي لا أعرف عنها شيئًا، ومتأكِّد أني لن أعرف بعد خروجي.

بعضهم جلسوا في الداخل، وبعضهم تاهوا في الخارج، وتشتَّتوا في الطرقات، وما زال الوحوش يحاولون تحريك الباب الكبير.

مراد في السكن الجامعي يراقب مطاردة مماثلة، ويرى طلابًا يقفزون من الطابق الثاني، هربًا، وآخرون يُلقى القبض عليهم. يدخل إليه أحدهم، ثم ينظر إليه نظرة، ويخرج. ربما لو اختلف لون بشرته أو طوله لكان الآن في عداد الموتى، أو لو كان مزاج ذاك الطارق المستعجل مختلفًا قليلًا في تلك اللحظة.

كلَّفني تصليح أسناني مبلغًا كبيرًا، وأحاول أن أتجنَّب الابتسام من يومها، فلا أعرف إن كنت أستطيع تصليحها مرة أخرى. كانت أبواب المخبر الابتسامة التي

[6] نُشر هذا النص في موقع رابطة الكتاب السوريين بتاريخ 24 يناير 2023

انتظرتُها فدخلتُ بسرعة، وأنا ألقي نظرة إلى مكان وقوف فريدة التي اختفتْ تمامًا.

أسعد رأى العلم الأخضر يُكسَر في مظاهرة، ثم غادر سوريا، وبقيتْ تلك الصورة آخر ما رآه في حياته فيها.

البحر الأبيض المتوسط: يقف سامر على الشاطئ، وقد اتَّفق مع المهرب منذ أيام. يصله اتصال من حبيبته، فيعود إلى سوريا. وبعد شهرين، تتزوَّج غيره.

في يوم غائم جزئيًا، يعبر مجد الجبال التي تفصل بين سوريا وتركيا، وتقع شمال سوريا. يتحسَّر على العمر الذي قضاه في هذا البلد دون أن يكتشف الكثير من الأشياء، ومنها هذه الجبال. لم يعلمْ أنه سيأتي يوم، ويعيش فيها.

يدخل الحدَّاد يوميًا ليصلِّي في المقهى. جميع من في المقهى لا يُصلُّون. يُسكتون فيروز خمسَ دقائق، وبعد خروجه يعيدونَ تشغيل «هالة والملك»:

أنا ما بسكر.. أنا بسكر لأتحرَّر

عنتر.. مين هو عنتر؟ أنا عنتر

يموت أحد الأشخاص الذين كانوا يبيعونني بطاقات الإنترنت، وأرى الخبر على صفحات مواقع التواصل. يموت الطبيب المهاجر، عندما مرَّ لزيارة أصدقائه في

البلـد، أمـام بـاب المستشـفى. يمـوت بـائع الحشـيش أيضًـا، أو يُقتل. لم يحبُّه أحد منهم، ولكنهم أحبُّوا الحشيش.

يقـف فـي الحمـام فـي شـهر رمضـان، ليـدخِّن، تـدخل الشـمس مـن الشـباك الصـغير بأعجوبـة، ويكـاد يقـع مـن التعـب. يتمنَّـى لـو أحضـر شـيئًا يأكلـه، ثـم يحـسُّ أنـه تافـه أكثـر مـن عقـب السـيجارة التـي تسـير وحـدها الآن فـي طريقها إلى البحر.

يكـره الكـلام، ليسـتطيع الابتسـام، دون وجـود مـن يضـربه علـى أسـنانه، ويشـغله شـهرين فـي إصـلاحها. يمكـن فـي أيـة لحظـة أن تقابـل مـن لا يعجبـه شـكلك، أو يكـون مزاجـه سـيّئًا، هـل يخبـرهم بهـذا؟! لا يطيـق قـراءة الأدب السـوداوي أو كتابته، إنه يعيشه فقط.

مـا زال يجـد نفسـه فـي أحضـان الأدب القـديم، فكلُّهـم كـانوا معقـدين: ابـن الرومـي والمعـري والمتنبِّـي، حتـى أبـو تمـام، أميـر الشـعر العربـي، لـه عقـده التـي يخفيهـا بعنايـة، وكـان لا يلقـي شـعره بنفسـه، بـل يرافقـه شـاب للإلقـاء، فربمـا كـان سيضحك في أثناء الإلقاء على كل هذه المهزلة.

نعـم يـدفع الشـعراء اليـوم لتُسـمَع قصـائدهم. «مـاذا حـدث لعقـولكم؟» يسـألنا أبـو تمـام، أو لا يسـألنا، فالموضـوع لا يعنيه.

يخرج نزار قباني في الصباح متأنِّقًا، فلديه متجر عطور. إنه الأكثر تواضعًا، فغيره يُمضي وقته في المكتبات، أو الصحف، أو مطاردة الأخبار.

الآن، ما الذي نطارده نحن؟

يحاسبونه على النوم، ويحاسب نفسه على اليقظة. يسير في الشوارع بين موتى. يتذكَّر الآن أن هذا النص دون عنوان، ثم يتذكَّر أن عنوانه: «فريدة». لديه نص كان يريد كتابته، اسمه «الحلم الأخير»، ويوجد في رأس الصفحة أيضًا عنوانًا يتيمًا. عمَّ يتحدث ذلك النص؟ لا بد أنه شيء مهم.

فريدة هي الشخص الذي لا يمكن أن يلتقي به أبدًا، فيوم قابلها كانت تعرف ما تريد، ولو بدا أنها ملَّتْ أو نسيَتْ مثل أي أحد آخر، فما زال ينفر منها. لا يفهم من أين تأتيها تلك الثقة. إنها تصفية حسابه مع المدينة.

في الكتابة، المجاز وحش أيضًا. وكلما ازدادت مطامعه، قرَّبنا أكثر من الحرية.

تعلَّم أشياء كثيرة من الكُتَّاب، لن تجدونَها في هذا النص، الذي لا يشبه حتى نفسه. حتى في علاقتنا مع اللغة. في البداية نحبُّها، ثم نحاول أن نغيِّرها، ثم نستسلم أو نهرب.

في اليوم الأول لوصولهم إلى تلك المدينة، أوقفهم حاجز وطلب هوياتهم، وضحكوا عندما كان اسم أحدهم على اسم ضابط انشقّ في ذلك اليوم، قائلين: لا يُشبهه.

كان يرمي أوراق اللعب كيفما اتفق: ينظر إلى اللون ويرسل شيئًا يُشبهه بسرعة، وشريكه يصرخ به. لو أراد أن يفكر ذهب ليدرس، أو يكلِّم أحدًا. إنه لا يستمتع باللعب إلا هكذا.

(من ذكريات 2012 – 2013)

حياة متوقفة عند الدرجة 69[7]

أغلِقُ باب البيت، وأتَّجهُ نحو العمل. الشوارع هادئة، يسير الناس فيها كأن على رؤوسهم الطير، فمنذ سرَتْ شائعة بوجود العملات المعدنية في الشوارع، التي يحصل عليها من يخفض رأسه ويدقِّق جيدًا في الوحل، تغيَّرتِ المدينة جذريًا.

الجميع يسيرون ويحدِّقون ويتفحصون جيدًا أي تفصيل لشيءٍ لامع. يقولون إن المبالغ التي حصلوا عليها في البداية لم تكن كبيرة، ولكن – كل عدة أسابيع – يتغيَّر وضع أحد سكان المدينة بنحو لافت، ما يُعيد إلى الأذهان قصة «النسر المجنَّح» الذي يرمي العملات كل ليلة. إنه يحاول توزيعها قدر ما يستطيع، ولكنها أحيانًا تتساقط منه، أو ربما يملُّ فيرمي بقية محتويات الكيس كيفما اتَّفق.

أسهرُ كل ليلة على الرصيف، لأدخِّن بعيدًا عن جوِّ المنزل الخانق، ولم أرَ ذلك المجنَّح قط. في الليل أيضًا تخفتُ حدَّة البحث، لأن معظم العملات تكون قد التُقطت، إضافةً إلى صعوبة البحث في الظلام، ولكنك قد ترى شخصًا ينحني إن رأى شيئًا يلمع صدفة، بينما يُفضِّل معظم سكان المدينة النوم باكرًا، لبدء البحث منذ الصباح.

[7] نُشر هذا النص في موقع رصيف 22 بتاريخ 12 نوفمبر 2022

تطـولُ جلسـاتي علـى الرصـيف، بعـد نهـار عمـل طويـل، فـالجوُّ هنـا ألطـف مـن جـوِّ المنـزل الخـانق، فالكهربـاء غالبًـا مقطوعة.

يتغيَّـــر شـــكل المدينـــة باســـتمرار، وســـكانها يتناقصـــون ويهـاجرون أو يلجـؤون إلـى أمـاكنَ تكـون فيهـا أجـرة البيـوت أرخص، ونادرًا ما ألتقي شخصًا ممن كنت أعرفهم.

الراتـب الـذي يدفعونـه لـي، لا يكفـي ثمـن المواصـلات إلـى العمـل، وعلـب القهـوة المثلَّجـة التـي أشـربها هنـاك. التـدخين أيضًـــا يقضـــي علـــى معظمـــه، ومـــا زلـــت مندهشـــة: كيـــف أعـــيش حتـــى اليـــوم مـــع نقـــود لا تكفـــي لـــدفع ثمـــن تلـــك الأشياء البسيطة، مع أني أعيش مع أهلي؟

قـد تظنـون أنـي محظوظـة، وأجـد نقـودًا علـى الأرض، مثـل كثيـرين فـي هـذه الأيـام. ولكـن للأسـف لـديَّ ديسـك فـي الرقبة، ولا أستطيع النظر إلى الأسفل.

بالمناســـبة، أنـــا كاتبـــة، ولكـــن لـــيس لـــدي تلـــك الكتـــب المشـــهورة. لقـــد كتبـــتُ أطروحـــةً عـــن تشـــارلز ديكنـــز، وحصـلت بسـببها علـى الماجسـتير، وبعـدها تابعـتُ العمـل بوظيفـة عاديـة فـي الجامعـة، فكتابـة عمـل آخـر قـد يسـتغرق ســـنوات، إن أردتُ إكمـــال المشـــوار والحصـــول علـــى الـدكتوراه. أمـا أن أصـبح مدرِّسـة فـي الجامعـة، فهـو أمـر صعب، وربما لا أريده أساسًا.

حياتي بسيطة، أخرج إلى العمل، وقد أعود بعد ساعتين. أساعد أمي في أعمال المنزل، ثم أنزل لأتمشّى، أو أجلس على الرصيف. وفي الليل، أرسل المقالات إلى بعض المواقع الثقافية، ومعظمها بالمجان. أو أعمل متطوِّعة في صياغة مقالات بعض المواقع.

بينما أقطع طرقات الحارة الترابية نحو موقف الباص، رأيتُ شابًا يسير في الاتجاه المعاكس، وينظرُ نحو السماء. كان مشهدًا غريبًا في مثل هذا الوقت، يبدو أنه لم يسمع بشائعة العملات.

لو كنتُ أستطيع توقيفه، وإخباره عما يضيع منه، فلا يستيقظ كثيرون في مثل هذا الوقت، حتى أنا لو لم أرغب في الانصراف مبكرًا، لما خرجت مبكِّرةً هكذا.

يوجد احتمال آخر، قد يكون ابن عائلة غنية، ولكن ما الذي سيجبره على السير في هذه الحالة في حارة كهذه. قد يكون مدمنًا، ولا يحسُّ بما يجري حوله. وقد يكون كاتبًا يبحث عن فكرة جديدة.

أكملتُ طريقي إلى العمل متناسيةً ذلك الشاب، بعد أن تخيَّلتُ له نهايات دراماتيكية عدة. يمثِّل أسوأها سقوطه في حفرة، وموته.

دخلتُ إلى المكتب، ووصلتُ الهاتف بالكهرباء، فهذه إحدى الميزات القليلة لتأتي إلى العمل، وبدأت بملء

السجلات بالأرقام. إنها عملية بسيطة، ولكن هنا فقط ما زلنا نقوم بها يدويًا. إنها عملية مملة، وتستغرق وقتًا طويلًا، للتأكد من تلك الأرقام، ووضع نتيجة في نهاية كل صفحة.

- احذرْ السقوط في الوحل.
- أي وحل؟ ... الشوارع تلمع كالمرآة.

لم أرُدْ...

- الجو دافئ اليوم، ويبدو من أيام الصيف المسروقة.

كان الجو سديميًا كئيبًا، فما الذي يقوله هذا الشاب؟ إنها المرة الثانية التي أصادفه... أخبرتُه أنني أجلس كل مساء على ذلك الرصيف، ويسرُّني أن أراه، وتابعت طريقي إلى العمل بخطى بطيئة كالعادة.

- كل يوم أجد شيئًا مختلفًا؛ إنني أعمل على رسم المعالم الزائلة: عربات الطعام في الشوارع.. مجانين المدينة والمتسوِّلون.. لقاءات العشاق أول مرة... ولكن انظري إلى موضوعي المفضَّل.

نظرتُ إلى الأوراق، ورأيتُ شيئًا لم أتصوَّره مطلقًا. لذتُ بالصمت، بينما راح يحدِّثني عن القزم الذي يحمل الفجر

إلى البلاد، بأكياس مثقوبة، يسقط معظم ما فيها في أثناء الليل على الطرقات.

- لذا لا يصل سوى هذا الفجر الكئيب؟
- إن المدفع الذي يطلق الشمس كل صباح، قد فقد الكثير من طاقته، هو الذي لم يعتد خسارة كل هذا الذهب (يجيب).

إذن، قزم يحمل كيسًا مليئًا بالذهب، ويمضي في شوارع المدينة كل يوم.

- إنه تشاكي.
- ومن هو تشاكي؟
- القزم الذي يرمي النقود يوميًا. إنه يعمل لديَّ.
- ماذا؟
- القصة طويلة. سأرويها لك غدًا.
- وماذا لو لم تظهر.. غدًا.
- اطمئني الأيام كثيرة، وكلها متشابهة.

مرّ اليوم التالي مختلفًا عن كل ما سبقه. كنت أرتِّب الأفكار، وأحاول فهم علاقة الشاب بالقزم. لو اقتصر الأمر على اكتشاف سرِّ القزم لكان جديرًا بالكتابة عنه، أما أن تكون للشاب علاقة بالأمر، فهذا يُعيد اللغز إلى البداية، ويجعلني أنتظر المساء بفارغ الصبر.

- من هو شاعركِ العربيّ المفضَّل؟

لا أعـرف لمـاذا بـدأ بهـذا السـؤال، أم أنـه أراد التشـويق وتغيير الموضوع. قلت له:

- تشارلز ديكنز.

لم يُدهشه جوابي، لا بد أنه يعرف قصة مدينتين وقصة عيد الميلاد، ولو من طريق الأفلام، وربما حتى أوليفر تويست أو الآمال الكبيرة، فهي شائعة جدًا، ولكنه تابع الحديث بأن كل شخص قد يصل إلى نقطة قد ينغلق بعدها مسار تفكيره؛ هوس يشغله عن كل شيء. أناس يتوقف حبهم للشعر عند المتنبي أو أحمد شوقي، وأناس يحبون مطربًا بعينه، وأناس تتوقف كتاباتهم عند ترديد أفكار فيلسوف ميت أو ناقد معاصر. قال عرضًا إني متوقفة عند تشارلز ديكنز، لذا لا أستطيع إكمال عمل جديد.

طبعًا لم أتوقَّع هذا الكلام من شاب بعمر 16.5، ولكني سألته: أين توقفت حياتك؟ فأجاب: 69.

- في يومٍ ما، دخلتُ إلى مغارة في بيت جدي، في طرف المدينة. كنتُ أظنُّها مغارة صغيرة لا تتجاوز مساحتها بضعة أمتار، ولكني مضيتُ في سرداب، ثم في نفق طويل، وانحدرت. قطعت ربما أكثر من 1500 متر حتى وصلت إلى مكان يشبه البركان الخامد.

- (متابعًا) هناك وجدتُ صخرة تسدُّ المدخل، وما إن فتحت البوابة، حتى خرج القزم. قال إنه محبوس هنا منذ سنوات، ثم سألني عن رقمي المفضل. كنت أنوي أن أقول «رقم 5»، فهو الرقم المفضَّل لمعظم الناس، ثم تجرَّأت وقلت له: «69»، فقال إنه سيحقق لي 69 أمنية، مكافأةً لي. هل تذكرين الخوخ الذي كان يتساقط على المدينة منذ سنتين؟
- (أجبته) طبعًا، يومها سقط الخوخ، وكان يصطدم بالأرض، ويفسد، ولم نستفد منه سوى بعض الانزلاقات.
- كانت تلك أمنيتي الأولى.
- يمكن أن أصدِّق قصة القزم، ولكن أن تكون أمنيتك «خوخ»!
- 69 رقم كبير، وبدا كأنه بلا نهاية. لذا، كانت أمنياتي الأولى مثل هذه.
- ربما لو كانت أمنية واحدة لاخترتَ تدمير المدينة.
- لا، لا، لا... لستُ من حزب النيزك. ثم إن القزم كان سيفعلها بمفرده، ألا ترينَ أنه حرٌّ الآن، ولا تزال الشمس مريضة.
- ربما لأنك تثقل عليه بأمنياتك.
- أبدًا، معظم أمنياتي الأولى كانت تدور حول الطعام، وتوزيعه، مثل الخوخ. كنت يومها أجلس على سطح أعلى بناء في المدينة وأراقب القزم

وهو يرمي الخوخ، وأنا جالس آكل من رأس الكومة الكبيرة. ومرة طلبت من القزم توزيع الفروج المشوي على معظم البيوت، ومرة طلبت منه توزيع البيتزا.

- اللعنة، أفسدتَ السحر. أي شخص يستطيع توزيع البيتزا!
- كنت يومها متعبًا، ولم أفكر جيدًا.
- لكن، ما هي أمنيتكَ أنت؟
- كنت سأطلب أمنيتي في المرة الأخيرة، وأعتزل. ولكن قبلها طلبت أشياء كثيرة حاولت بها أن أجعل المدينة أجمل. استمر ذلك فترة جيدة. ثم فكرتُ في وسيلة تحقق شيئًا مستدامًا، لا ينتهي، وكان هذا أغبى شيء فعلته.
- لماذا؟
- لقد كلفني 50 أمنية دفعةً واحدة، أي انتقلت من الرقم 18 إلى الرقم 68 بطرفة عين.
- وكيف ذلك؟
- إنه خيار متاح، أو – كما يقولون – عرض خاص: تستطيع أن تعلق مع القزم في أمنية واحدة تتكرر كل يوم إذا تخلَّيتَ عن 50 أمنية.
- أعرفها.. إنها الذهب، فأنت من يوزِّع الذهب كل يوم.
- وتلك المشكلة

- أين المشكلة؟ أنت تستطيع أن تكون أغنى شخص الآن.
- المشكلة الأساسية أنني في حال طلبتُ أمنيتي الأخيرة رقم 69، ستتوقَّف الحلقة عن الدوران، وتتكسر، ويتوقف توزيع الذهب. والمشكلة الثانية أنني مضطر إلى الاستيقاظ كل يوم، والسير مع القزم الأمتار الأولى، لآخذ حصتي مما يرميه. أنا لا أنام تقريبًا، وبعد أن كنت في الأيام الأولى مستمتعًا في ما يحصل، وأرسم القزم وهو يوزع الذهب، مثلما رسمته وهو يرمي الدجاج المشوي أو جوز الهند أو فاكهة التنين أو حتى الكنافة النابلسية، وبالمناسبة فشل في صنعها، وأخبرني أن إمكانياته محدودة رغم كل شيء، ولا تصل إلى الكنافة النابلسية...
- المهم...
- يعني أنني عالق. أنا لا أكبر منذ وجدتُ القزم، وكان هذا جميلًا في البداية، ثم تحوَّل إلى كارثة.
- لكنك تستطيع أن تطلب أمنيتك الأخيرة، وتكسِر الحلقة.
- ولكني سأخسر الذهب.
- بالمناسبة، لم تقل لي حتى الآن: ماذا كانت أمنيتك الأخيرة؟
- لا داعي لذلك.

- لمــاذا؟ لقـد قلـتَ كـل شــيء. هـل هــي محرجــة إلــى هذا الحد؟
- ليس كثيرًا.
- ممم
- لقـد كانــت أمنيتــي التــي ادَّخرتُهــا حتــى النهايــة...: أن أمـــارس وضـــعية 69 مـــع أشـــهر مغنيـــة فـــي المدينة.

نظرتُ إليه باشمئزاز.

- لا طبعًا، عدلتُ عن الفكرة.
- عدلتَ عن الفكرة، أم أن المغنية سافرت.
- ربمـا الأمـرين معًـا. ولكـن الـذهب كـان مـا يشـغل بالي.
- كنتُ حللتُ لك المسألة، ولكني لاجنسية.
- وهـل تظنـين أنــي أقبـل بممارســة الــ69 مــع أي كان؟ مع احترامي طبعًا.
- قلت لي 69.
- كان عمري 16.5.
- وما زال.

أصـبحتُ أعـرف قصـة القـزم، ومـن أيـن جـاء، ولكـن نهايتهـا بقيـت مفتوحـة. مـا زلـت أرى الشـاب كـل فتـرة، ونــادرًا مــا يجلــس معــي لــيقصَّ حكاياتــه التـــي اســتُنزفَتْ، ورســوماته

أيضًا باتت قديمة حتى بالنسبة إليه، ويشتهي لو يرسم غيرها.

- ربما عليك أن تجد أمنيتك الحقيقية، وتنتهي المسألة.
- وهل يجب أن تنتهي؟
- انظر، ليس جميلًا ما يحدث، وهذا الذهب حوَّل الناس إلى بُله. نعم، من الأفضل أن ينتهي الأمر.
- أنتِ ربما ليس لديك مسؤوليات. في النهاية، أنتِ كاتبة. مع احترامي طبعًا.
- ولكنها ليست حياة.
- إنهم سعداء.

ربما يستمر الوضع هكذا حتى يتحرَّر القزم، أو يموت الشاب، أو يطلب أمنية بسيطة ويرتاح... ربما يسقط الشاب والقزم داخل البركان، وتبقى الأمنية الأخيرة معلَّقة في السماء.

حضن الغريب[8]

جالسًا على الحافة يستجمع شجاعته ليقفز، رمى حقيبته إلى الطرف الآخر من السور، عندما انهال عليه الرصاص، ليُسقِط نفسه من حيث أتى... خرج من بيته بعد مشاجرة طويلة مع أهله، واتجه في اليوم التالي إلى الحدود، ليعبر إلى بلادٍ أخرى... وها هو الآن يرجع دون ملابسَ أو نقود.

عندما يلعبانِ معًا، يصفُّ كلٌّ من كاظم وعصام قطع الشطرنج في النقلات الأولى، مستمتعَينِ بهذه التعبئة الطويلة التي تعكس مصائرَ قادمة وموتًا وشيكًا لكل قطعة، رغم أنه لا شيء من هذا قد حدث حقًا. إنهما الصديقان الوحيدان في المقهى، لهذا تختلف طريقة لعبهما معًا عما يلاقيه شخصٌ ثالث يلج المكان، فمعظم طرائق لعب الآخرين يغلب عليها الاستفزاز.

منذ شهرين، بينما كان يقف أمام محل حلويات في السوق منتظرًا طلبه، اقتربت منه فتاة جميلة جدًا، وقالت له: عندك شيء لله؟ أجابها دون تفكير: لا. بعد أيام، راح يبحث عنها، علَّه يجدها ويتزوجها، وينتشلها من بؤرة الفقر. يعلم أنه لن يجدها، ولكنه لا يعلم إن كانت جميلة حقًا، وربما لا يهمه هذا. لكن ليس لديه مشكلة في أن يتزوجها، إن قبِلَت هي.

---

[8] فاز هذا النص بالجائزة الأولى في المسابقة التي أقامها فريق "أنا عربي الثقافي" عام 2023

منطقيًا، قد يكون لها أبٌ قاسٍ، يرسلها مع أخوتها الصغار يوميًا للسعي في الأسواق والحدائق والطرقات. في حال حصل كل واحد من أخوتها على ورقة حمراء، سيتخطَّى خط الفقر بمفرده، أما هي فعليها أن تقفز بأعوامها العشرين قفزة هائلة تشبه قفزته الفاشلة عن السور التي ستحدث في مستقبله القريب، لتتخطَّى الأمتار التي بقيت أمام الأسرة دفعة واحدة. إذن، كان البحث عنها يساعده على التفكير، وتوصَّل حينها إلى نتيجة تُفيد بأنها تحصل على الكثير من الأوراق يوميًا، ما يعني أن زواجه منها سيدمِّر أسرتها.

منذ عودته من الحدود، ينام في مغسلة السجاد، حيث يعمل حارسًا بورقة حمراء وربع يوميًا، أما مهنته الأساسية التي أهملها طويلًا بسبب ظروف الحرب، وقبل ذلك كله استغناء الناس عنها، فمن يهتم بصنع الأبواب الخشبية في زمن الدمار؛ يلجأ معظمهم إلى أبواب الألمنيوم الأرخص، أو باب حديدي للمدخل، خوفًا من السرقة، والباقي لا يهم.

ذهب زمان الخشب، ولا شيء ليدقَّ عليه الآن. ولكن هنا في هذه المدينة التي انتقل إليها مع أهله منذ فترة، يعمل أحيانًا عند نجَّار مسن، عندما تزدحم عليه الطلبيات. إنها مدينة مزدحمة، ولكنها تزدحم أيضًا بالباحثين عن العمل.

يستعير مفتاح شقة صديقه يوم ذهاب زوجة صديقه لزيارة أهلها، ليغسل ملابسه ويتجول في الشقة عاريًا، وقد يجد بقايا طعام مطبوخ في الثلاجة. كانت لديه مشاريع كثيرة في تلك السنوات، وحلم بأشياء كثيرة تجلب ثروة. ابتداءً من عمله مع صديقه بمشروع يقيم نشاطات ترفيهية للأطفال في زمن الحرب، وعندما نزح مع عائلته إلى هنا، عمل في مشاريع مشابهة، لكن براتب أقل.

قضى سنتين يلاعب الكمبيوتر وكبار السن في المقاهي لعبة الشطرنج على أمل إقامة مسابقة يومًا ما... فكَّر في إتمام دراسته التي توقفت بسبب الحرب... فكَّر في العمل في أي مكان يمنحه مأوى، ولم يجد سوى مغسلة السجاد هذه، التي ستقفل أبوابها مع نهاية الصيف.

لا يزوره أحد من أقاربه سوى ابن خالته عمر، وهو يصغره بسنتين، ومع هذا كان عمر مسؤولًا عن عائلته بأكملها منذ وفاة والده، ولكن أخاه المسافر يدعمه ماليًا بعض الشيء. لم يقرع عمر الباب، بل وجده في ساحة المغسلة ينتظر العامل الآخر، الذي أقفل الغرفة الصغيرة الوحيدة في المكان. ذهبا ليجلسا في حديقة عامة، ليسرد لعمر تفاصيل أيام تشرده الذي «حلم به طويلًا»، حسب تعبيره...

من المؤسف أن الحياة تحقق أحلامًا مثل هذه بسرعة، في حين لم تلتفت يومًا لأحلامنا الأخرى. هل كان عليه

مثلًا أن ينتظر عامين آخرين ليربح بطولة شطرنج، أو يراها تُقام فحسب، أم أن السيرة الذاتية التي يحملها تناسب التشرد أكثر.

أحداث كثيرة رواها لعمر في أقل من نصف ساعة. صحيح أن عمر سأله عن سبب إقفال الغرفة، وعن الهاتف الجديد الذي يحمله، لكنه كان سيتكلم في جميع الأحوال.

لقد سُرق هاتفه منذ أسبوع، وخرج بعدها غاضبًا، وصرخ بأولاد الجيران الذين كانوا يلعبون في ساحة المغسلة، ولم يكتفِ بإبعادهم، بل ذهب إلى بيت الجيران بنفسه ليطلب منهم عدم اللعب في الساحة مرة أخرى. كان جاره لطيفًا جدًا، وطلب منه الانضمام إلى أسرته في سهرتهم. أما والدة الجار فقالت إنها تعرف أنه يقيم في المغسلة، وستحاول إعطاءه أحد البيوت القديمة التي يؤجرها أقرباؤها.

كانت هذه هدية من السماء لم يتوقعها، فاعتذر لهم بأن سبب غضبه في البداية هو هاتفه المسروق منذ ساعات. ذهبت والدة الجار إلى غرفة أخرى، وأحضرت ورقة خضراء، وأعطتها له ليشتري هاتفًا جديدًا. بررتْ ذلك بأنه لن يهرب، فلا مكان له الآن سوى المغسلة، وأنه سيعيدها مع أجرة البيت التي ستكون بسيطة أيضًا. كانت محاولاته للرفض تذوب أمام أسلوبها السلس، ثم

قالـت كـأن الموضـوع محسـوم: «يجـب أن تبحـث أيضًـا عمن يسكن معك، ويقاسمك الأجرة».

قـال عمـر: «أفهـم مـن كـل هـذا أن ديونـك تراكمـت». فـرد عليـه بـأن أسـعد أيـام حياتـه، تلـك التـي تغـادره مـع نهايـة هـذا الصـيف. «وهـل وجـدتَ شـريكًا»... «لـيس بعـد، هـذه الفتـرة نلعـب الشـطرنج مـع ابـن عمـك خالـد، وأصـدقاؤه، فـي موقـــع علـــى الإنترنـــت»... «ومـــاذا عـــن عصـــام وكاظم؟»...

فـي طريـق العـودة، سـارا يفكـران فـي أمـرَين مختلفَـين، ثـم ودَّعه عمر أمام باب القصر الذي فُتِح أخيرًا، ومضى.

بعـد شـهر، اتصـل بـه عمـر ليسـأله عـن أحوالـه، فـأخبره أنـه يقـيم فـي بيتـه الجديـد القـديم، المهتـرئ الرائـع. وأنـه دفـع أجـرة شـهرين أيضًـا. قـال عمـر: «للأسـف أحضـرت لـك ورقتـين خضـراوين مـن أخـي لهـذا الغـرض، إذا كنـت لا تريـدهما سـأ...». قاطعـه: «مـاذا؟ لا، طبعًـا أحضـرهما. يجـب أن أعيـد الورقـة للجـارة، وأشـتري بعـض الملابـس والأثاث و... و...».

أعطـى الورقـة الأولـى للجـارة، ثـم حـوَّل الورقـة الأخـرى إلـى ثمانيـة أوراق زرقـاء وورقـة حمـراء صـغيرة جـدًا. اشـترى حـذاءً مـن البالـة بالورقـة الحمـراء، وسـط اسـتغراب عمـر، الـذي وجـد أن الحـذاء الجديـد لا يختلـف عـن القـديم فـي

شـيء. دخـلا إلـى متجـر ملابـس، واشـترى معطفًـا بنصـف ما يملكه. ثم سارا في الطريق.

رأى شـحاذة فأعطاهـا ورقـة زرقـاء، ثـم شـحاذتين فأعطاهمـا ورقتـين. كـاد عمـر يجـن، لكنـه أكـد لـه مـرارًا أنـه لـن يخبـر أحـدًا عمـا فعلـه، كـي لا يوقفـوا تعـاملاتهم الماليـة معـه، بحسـب تعبيـري أنـا الـراوي الـذي لـم يشـبع مـن هـذه القصـة ومضــطر إلــى فراقهــا. «كنــتَ تســتطيع أن تعــيش بهــذه النقـود مـدة أسـبوع»، قـال عمـر، ثـم مضـى بعيـدًا دون أن يعـرف: هـل سيسـتمر ابـن خالتـه بالسـير وتوزيـع الأوراق الزرقاء، حتى لا يبقى شيء في جيبه الدافئ.

مسلسلات رامي[9]

مكتبة صغيرة لبيع الدفاتر والأقلام وكتب الأطفال، بسببها ابتعدتُ عن القراءة وعدتُ إلى مشاهدة المسلسلات الأجنبية... يُقال: صديقك الذي يقدم لك المسلسلات حافظْ عليه.

أرشدتُ أحد الأصدقاء إليها عندما أراد نشر روايته؛ طوال خمسة عشر يومًا، كل يوم، أمرّ وأرى الباب مغلقًا؛ أعرف أن رامي في الداخل خلف لوحة المفاتيح، وصديقي يقوم بإملاء الكلمات. من الأفضل أن لا يعلم أحد، رامي يظن الكتابة جريمة، على الأقل بمقاييس الزمن، ومن الأفضل أن لا أخرجه من منطقة الراحة.

أبو زاهر صاحب محل الملابس المجاور يريد أن يتعلّم الشطرنج، وهذا مسلسل آخر قضينا فيه مساءات عديدة قبل افتتاح مطعم أبو زاهر.

بحث أبو حميد عن وظيفة بعد تسع سنوات من الهندسة تراجيديا.

رهاننا على الحب في تلك الأيام كوميديا.

محاولاتي للتواصل مع الناس بمشاهدة المباريات أو التدخين أو حتى ثرثرة أبناء البلدة الواحدة مسلسل تم إلغاء إنتاجه.

[9] نُشر هذا النص في موقع رابطة الكتاب السوريين بتاريخ 2 يناير 2021

دائمًا يتخبَّط الشخص بين الأشياء في مرحلة جمع المعلومات حتى يلمع شيءٌ ما أو يستغرقه مسلسل ما.

الحياة انتظار متواصل وفي النهاية يأتي أنيس أو أنس.

مسلسلات أنس هي الكتب وكيفية الحصول عليها، رحلات قديمة إلى دمشق وحلب ثم انتهى به الحال بطباعة الكتب بنفسه. جعلَنا -أنا ورامي- نقول ألن ينتهي «باب الحارة»؟ لكن دائمًا، بعد غياب أسبوع، يعود أنس حاملًا قائمة جديدة.

لا يَسمحُ بعلامات مائية أو كلمة «مكتبة» أو أي شيء قد يُضاف على النسخة الأصلية، بل لقد أعاد طباعة كتب بأكملها بسبب أشياء أبسط من ذلك، ولن أشرح لكم التفاصيل كي لا تكرهوا أنس، إنه شخص دقيق جدًا يشبه شيلدون في مسلسل نظرية الانفجار العظيم.

ذهبتُ معه مرة إلى مكتبته الكائنة في قبو منزله. من جمع 3000 مجلد بجهود شخصية وراتب بسيط ثم دخل معدوم يملك صبرًا وانتقائية وثباتًا جعلتني أعرف ما نحن مقدمون عليه. طابعة المكتبة تطبع كل 20 صفحة لوحدها كي نتمكن من إصلاح الخطأ بأقل خسائر وأنس يقوم بقصّ الصفحات وترتيبها ليأخذها معه إلى المنزل لتقعد في قوالب وتنضج وتخرج جاهزة للقراءة.

أنس لم ينجح في حمل رامي على القراءة، ورامي لم ينجح في حمل أنس على مشاهدة مسلسل واحد. سنة

ونصف، كرت الذاكرة يذهب ويعود معي، في جيبي كتبهما ومسلسلاتهما... يقول لي الناس: ما شأنك بهذا؟ قدري أن أحارب على جميع الجبهات، قدري أن أحصل على الزبدة، بينما يتمسك رامي بالعادات المحلية، ويشاهد مسلسلات أجنبية، ويقرأ أنس فكرًا عربيًا لتنعم بلاده بشيء من حداثة الغرب...

الرواية تم إرسالها إلى شاعر سوري كبير في أوربا ليرفضها، وتقبَّل كاتبها ذلك بكل بساطة.

أبو حميد وجد وظيفة.

أنس أنقذ الجزء الأكبر من مكتبه لترتمي في أقبية عديدة، ولكن الجزء الأكبر مما طبعناه تمَّ تركه.

بيتر بان.. الكسلان

إما أنَّ أحلامي تحقَّقت كلَّها

أو أنِّي ولدتُ بلا أحلام

*

هذا النص لي

لي أنا الكاتب

وأخيرًا ظهر المارد، وذهبت الشخصيات الهزيلة... لا يوجد شيءٌ كثير لتعرفوه، حتى أن هذا النص كان يمكن أن يُكتب بطريقة أخرى، ولكن: ألستُ بيتر بان؟ لن أكتبَه.

أيضًا، لماذا لا أكتب عن المأساة السورية؟ ليس كسلًا فقط. ربما من الغباء أن أكتبَ عن أشياء يعرفها الجميع. وفي النهاية، ستنتهي الطائفية –مثلًا– لأن الناس جرَّبوها ألفَي مرة ووجدوها مقرفة، وليس بسبب رواية لكاتب عبقري!

من الصعب أن يعترف أحد بعقده النفسية، وإن لم يحوِ هذا الكتاب سوى هذه الجزئية، فهذا يكفي. أنا لم أحاول إخفاء الأمر قط، وقد علمتُ به صدفةً منذ فترة، وإلا كنتُ أخبرتكم.

عندما أخبرني معالجي النفسي أول مرة أنني مصاب بمتلازمة بيتر بان، أخبرتُ... بصراحة ليس لدي معالج نفسي، وأظن أنكم -في النهاية- تستكثرون عليَّ الأمرين: أن أمتلك معالجًا، وأن أمتلك مرضًا جميلًا مثل هذا (... ولكن أرزاااق).

عندما قرأت عن متلازمة بيتر بان أول مرة وعرفتُ أنها نوع من النرجسية، أرسلتُ النص إلى صديقة، فقالت إنها أيضًا مصابة بها، وطبعًا هذه غيرة سخيفة من جانبها... أنا بيتر بان الحقيقي.

حدث هذا بعد عمر طويل عشتُه على هذه الأرض، فما جدوى المعرفة للإنسان إن كان الأوان يفوتُ دومًا؟ وما جدوى الأفعال إن كنا لن نحصدَ نتائجها؟

مع ذلك، لديَّ الكثير من النصوص المنشورة وغير المنشورة – ربما أكثر مما يجب – وقد أتعبتموني في الاختيار، منها نص بعنوان: «فيلم بورنو طويل» سنشاهده بعد قليل، لا تقلقوا... ولكن قبل ذلك:

جميعنا الآن خارج البلدة، وهي خاوية على عروشها... رامي وأنس وأبو زاهر وأبو حميد وحتى بيتر بان. إنه شيء يُسمى «التهجير القسري»، وأنتم تعرفون عنه أكثر مني. هؤلاء كانوا أصدقائي الحقيقيين، وليسوا شخصيات فحسب (الفقرة الأخيرة احترافية ومقيتة).

في بداية سنة 2018، كانت مدينتنا على وشك أن تُباد، وقد تركناها جميعنا مدة 15 يومًا، ثم عدنا. يومَها لم يحدث شيء، وكانت مزحة (يومَ خروجي من المدينة أنهيتُ قراءة رواية «المزحة» لميلان كونديرا، وكتبتُ عن ذلك كثيرًا حتى استنفاد المفارقة). ولكن حدث بعدها أن أفرِغت مدينتنا بالكامل من سكانها في بداية سنة 2020.

بين هذين الحدثين مررت بحالات اكتئاب وعزلة وفراغ، حتى أن بطل قصة حضن الغريب كان يحضر لي البروزاك وكنتُ أرميه. ومررت بحالات فقر، حتى كنتُ أستدين النقود من سارة (بطلة "نجم وسارة") وكنتُ أحتفظ بها.

غرقتُ في إدمان الكتب والمسلسلات أكثر مما اعتدت، وقاطعتُ معظم الناس، حتى أني حذفتُ آلاف الأصدقاء على موقع فيسبوك وأبقيتُ المئات فقط، وكان رامي وأنس ممن ألتقيهم في تلك الأيام. ثم حدث التهجير الأخير سنة 2020، وأصبح كل واحد في بلد.

المهم في ربيع 2018، كتبتُ 50 صفحة عن تجربة التهجير الأولى ومزَّقتُها، لأن ما كان يهمني هو شكل النص. وتوجهتُ إلى كتابة نصوص قصيرة مثل المنشورة في هذا الكتاب.

كان نشر النصوص يومها عملية صعبة جدًا، وما زال، ولن ندخل في التفاصيل، فأنتم تعلمون جيدًا أن العاملين في المجال الثقافي عصابات غير مسلَّحة. أيضًا، هذا النوع من الكتابة لا يسمح سوى بعدد قليل من النصوص، ففي كل مرة أنتَ تصنع شيئًا من لا شيء، ما يعني أنني كنتُ أكتب أيامًا معدودة في السنة.

أحيانًا يكون لدي عمل خارج الكتابة لأصرف على نفسي وأردَّ لسارة ديونها، وحتى عندما عملتُ 6 أيام في الأسبوع، كنتُ أبدأ يوم العطلة بقراءة رواية أو مشاهدة مسلسل، لذا لم أتعب في إنجاز هذا العمل ولم تكن تلك النصوص مشروع كتاب، ويومَ كتبتُها كنتُ في عداد المعتزلين.

بعد التهجير القسري سنة 2020، عشتُ أيامًا سعيدة، وقمتُ برحلات كثيرة، وتزامن ذلك كلُّه مع كورونا التي أثَّرت في كل شيء وغيَّرت نمط حياتنا الممل. انتظرت حتى سنة 2021 لأعمل على مشاريع جديدة (أنجزتُها). والآن تذكرت هذه النصوص التي كان إيجادها يعتمد على توفُّر نسخة إلكترونية منها في مكان ما.

إذن، لقد ضاع بيتر بان طويلًا وسط أمراض نفسية أخرى، وظروف صعبة. وأحاول الآن إخراجه من تحت الركام. ماذا يجب أن أفعل؟

عزيـزي القـارئ: أنـت تريـدُ مـن الكاتـب أن يتعـب، وأنـا لا أريـد، ولـو لـم يخـرج بيتـر بـان مـن منطقـة الراحـة صـدفةً بمفـرده – أو قسـرًا مثـل غيـره – ربمـا لـم يُتـابع الكتابـة أصـلًا. لـذا؛ سـأكتفي بمشـاهدة فـيلم بيتـر بـان الجديـد، وأكتبُ لكَ اقتباسًا منه:

«أتعرف ما الذي يؤلم في أن تكبر
ليس صرير العظام
أو الأحلام المفقودة
أو الشعور باقتراب الموت
بل معرفة أن أفضل صديق لك
يحدِّق في عينيك
ولا يتعرَّف عليك».

فيلم بورنو طويل[10]

في روايتي اليتيمة "نجم وسارة"، يصنع بطل القصة اليتيم "ديب" فيلم بورنو من مجموعة مقاطع يجدها على كمبيوتر ابن عمه، ليكتشف بعد سنوات أن ذلك الشريط جاب نصف بيوت القرية، وأنه أوَّل عمل يفعله في حياته يجد صدى جيدًا.

لن أتوقف طويلًا حول تلك القصة، التي هي بالتأكيد قد حصلت كثيرًا، وبطرائق مختلفة وأماكن شتّى، ولا أنكر حدوث أشياء تُشبهها معي، وإلا من أين أتت تلك الفكرة؟

ما أريد التوقف عنده أمر آخر، حقيقي جدًا، وبسيط جدًا: كنتُ في منزلي وحيدًا، أتصفّح الإنترنت مساءً، في بداية سنوات الحرب السورية، عندما قُرع جرس الباب، ووجدت أمامي اثنين من أصدقاء قريب لي، وقد أخبر أحدهما الآخر أنه يستطيع الحصول على مقاطع جنسية من عندي.

في تلك الأيام، كانت الكهرباء نادرة، والإنترنت مرتفع الثمن، حتى أنك تضطر للانتظار وقتًا طويلًا لتحصل على أفلام عادية، أي هوليود وبوليود أو حتى هاني رمزي، وطبعًا لم يكن يكترث بالأفلام أحد، فقد كانت الحرب جديدة، وهي الفيلم الرائج، لكن أفلام البورنو ليست أفلامًا عادية؛ إنها خبرات أجيال تُسلِّمها لغيرها.

هواة يجمعون مجموعات ويعطونها لغيرهم، ودائمًا تجد من يحافظ عليها كثيرًا، ويحميها من الضياع لسنوات...

---

[10] نُشر هذا النص في موقع رصيف 22 بتاريخ 8 يوليو 2023

لـذا، منـذ انتشـار الكمبيـوترات، الأفـلام متـوفرة كثيـرًا. وفـي الوقـــت نفســـه، إنهـــا نـــادرة جـــدًا ومطلوبـــة؛ مثـــل قـــط شرودنغر، الفيلم موجود وغير موجود دومًا.

أمـــام هـــذه الحتميـــات النســـبية، لـــم يتـــردّد الشـــاب الثـــاني بتصـــديق الأول، وجـــاء معـــه مباشـــرةً ليســـألاني عـــن هـــذا الأمـر. وطبعًـا أنكـرتُ مباشـرةً، وعنـدما ألـحَّ الأول بالسـؤال، وكان الثاني خجولًا مترددًا، أكّدتُ بالرفض.

كنـــتُ وقتهـــا أمـــام كارثـــة، فلـــو أعطيتُـــه الفـــيلم لأصـــبحت قضـية امتلاكـي لـه معروفـة، علـى نطـاق واسـع. ولا أعـرف مـن قـد يطـرق بـابي فـي أي وقـت للحصـول عليـه. وطبعًـا، لـيس هـذا مـا يخيـف فقـط، فـأن يـأتي أحـد مـا ليطلبـه بعـد فتـرة – كمـا يحـدث الآن – لـيس بـالأمر الجلـل، وأسـتطيع التصـرف وقتهـا كمـا أشـاء، حتـى إن كـان مـن يريـد الفـيلم متأكدًا من امتلاكي له، سأقول ببساطة: "حذفته".

نعـم، لـيس هـذا سـبب الـرفض. الأمـر الـذي جعلنـي أرفـض مباشـــرةً وقتهـــا، دون حتـــى أن أفكِّـــر بـــالأمر، أو أحـــس بشـــعور الشـــاب الثـــاني الـــذي اختـــار فـــي ذلـــك اليـــوم أن يقصـــدني شخصـــيًا، هـــو الخـــوف علـــى ســـمعتي التافهـــة، فطبعًـــا لا أريـــد أن تعـــرف البلـــدة كلهـــا أننـــي أملـــك أفـــلام بورنو.

كانـــت القصـــة ســـتمر بســـلام وتُنســـى، لـــو لـــم يُقتـــل الشـــاب الثـــاني فـــي اليـــوم التـــالي. ولـــن أتحـــدث عـــن ســـبب مقتلـــه، ومـع مـن كـان أو ضـد مـن، فهـذا أمـر غيـر مهـم، بالنسـبة لـي علـى الأقـل، وإذا كـان مهمًـا لـه أو لكـم، فهـذا شـأنكم. ولكـــن المشـــكلة أننـــي أصـــبحتُ وقتهـــا، فـــي هـــذا الحلـــم

الطويــل المشــترك الــذي نســميه "حياتنــا"، أو "الواقــع" بطبقاتـه التـي لا تنتهـي، فـي موقـف مـن رفـض آخـر أمنيـة لشخص ما في آخر مرة يراه فيها.

فــي تلــك اللحظــة، كــان مــن المســتحيل معرفــة أن ذلــك الشـاب سـيموت فـي اليـوم التـالي. نعـم، كـان مـن الممكـن أن أرى أننــي أنــاني، آثـرتُ ســلامتي الشخصــية وســمعتي الســخيفة، علــى مسـاعدة شــخص وثــق بــي وجــاء يطلــب المســاعدة، وإن كــان التفكيــر بكــل هــذا صــعبًا جــدًا فــي لحظـة واحـدة، هـي لحظـة الجـواب، فقـط كـان مـن السـهل جـدًا أن أرى أننـي أحرمـه مـن الحصـول علـى شـيء يتمنـاه منـذ زمـن، وكـان ذلـك واضـحًا لـي حتـى فـي تلـك اللحظـة القصــيرة، بــل إن تعــابير وجهــه التــي تحمــل التوسّــل والخجل واللهفة ما تزال مرتسمة أمامي.

ذلـك الشـاب لـيس بطـل القصـة، بـل صـديق عراقـي كـان يســألني أحيانًــا: "أنــت ســني أم شــيعي؟"، فأجيبــه: "أنــا ليبرالــي أكثــر مــن أوبامــا". مــا زلــت أرفــض الــدخول فــي نقــاش حــول تلــك الأمــور، وطبعًــا قــد لا يكــون إغمــاض أعيننـا عـن عـالم ملـيء بالتعصّـب حـلًا، ولكنـه موقـف مـن يــرفض إضــاعة الوقــت بتلــك الخــزعبلات، كمــا تــرفض القصــيدة أحيانًــا "حياتنــا" أو الواقــع بطبقاتــه، وتبحــث عــن حيـاة فـي مكـان آخـر، ومـا أريـد قولـه هنـا إن التجـاوز جـزء أساسي من جميع خبراتنا وما يحدث معنا.

تخليـتُ عـن البحـث عـن أبطـال لقصصـي منـذ زمـن. إنهـم يــأتون بأنفســهم ويتحــدثون، ومــنهم بطــل هــذه القصــة الــذي يــذكّرني بالشــاب الثرثــار الــذي كنتُــه قبــل ســنوات. ورغــم

اختفـاء الكثيـرين مـن حـولي، بقـي بعضـهم يسـتمع إلـيّ، ولكـن: هـل أسـتطيع أن أقـوم أنـا بـدور المسـتمع؟ بالتأكيـد لا.

عـدد الأشـخاص الـذين نـتكلم معهـم بصـدق قليـلٌ جـدًا، حتـى أننـا نسـتهلكم بسـرعة، أقـول لنفسـي. لأول مـرة استهلكني شـخص مـا، وعرفـتُ مـا كنـتُ أفعلـه بالبشـر. لقـد أدى دوره. أتمنـى لـه التوفيـق. «السـوريات غيـر جمـيلات»، وقصـته عـن زيارتـه الأولـى لسـوريا، وكيـف عرضـت إحـدى السـوريات عليـه أن يمـارس الجـنس معهـا مقابـل عشـرة دولارات. مـاذا أسـتطيع الـرد علـى أشـياء كهذه.

فـي النهايـة، اختلفـت مـع ذلـك الصـديق لسـبب تافـه لا أذكـره، لكـن قبـل ذلـك، أخبرنـي يومـاً مـا أن الشـاب العربـي قـد يمـوت وهـو يتحسّـر علـى رؤيـة عضـو الأنثـى، فقلـت لـه إنني رأيتُ من يموت وهو يتحسّر على فيلم بورنو.

القسم الثاني:

وأُخِذتُ بالنسماتِ أبعدِها

حتى قضتْ عيني على يدِها

اليأس

-1-

يستحق أن أكتب عنه

فلقد رافقني سنين طويلة

ورمى وجهي في سلة المهملات

أبحث في شوارع فارغة

تسَعُ خطواتي الممتلئة

لأواري لحظات النهار

التي لم أعُدْ أريد منها سوى أن تتساق

بخفَّة

وتتركني كما أنا

ميتًا ويائسًا...

لتعرف معناه

فكِّر بكل تلك الأشياء الخادعة

التي سقطت فوق رأسك

وجرَّتكَ طويلًا

دون أن تعطيكَ مجالًا

لتتنفَّس...

واسعٌ ومديدٌ ورحب

كبحرٍ هادئ خالٍ من الصدفة

والمعجزات

تعرف الجثة وجهتها جيدًا

في مهاوي المدينة

وتتحاشاها

وتسير دون أن تخشى زلَّة أمل

أو بصقة حظ

لا اسم لجسدك الممتد

والمعرِّش كسرطان جديد

يشبه غيره

في كل شيء

لا اسم لقلبك المتوفِّر دومًا

للجلطات

ولأناك التي لم تصطبغ بعد

بجرأة الفصل والانتحار

تقف الأبنية كأصنام من تمر

على شوارع تغطِّي العفن

بطبقات رقيقة من مكياج

رخيص

وتقرأ كلمة سيرياتيل

على جميع الواجهات

مع أنك خارج التغطية...

أحيانًا تسيح الأبنية كالزبدة

على شوارع تتقيَّأ الجثث

والصرف الصحي

وتقرأ كلمة سيرياتيل

على جميع الواجهات

مع أنك متصل دومًا

وتلوذ بشق غرفة

أو زاوية شارع

تبحث عن قاتلٍ يحتويك...

اليأس

آخر ما نختاره

وهو الأَولى بنا

أرق

وأوسع

وأجمل من كل ما نعرفه...

-2-

خذوا وقتي كلَّه

لم أعد أريده

أين أقضيه وقد فقدتُ لذة

النوم

أين أمضي والتضاريس تتساقط

عن وجهي وتكشف أعصابًا تتوفَّز

أين أرميه في أية هاوية؟

هل أنا المتعب أم أن الجحيم

قد رمى في كل شطآني نجوم؟

تخبزني الأفكار السوداء

على نارٍ معدومة

وتُلقي العجينَ إلى الصباح

هل أنا الميّتُ عيدًا من جديد؟

في النهاية، أعُدُّ النجومَ وأرتاح أمام الرقم الذي أصل إليه

فهو يضمن لي اليومَ والغد

بعد أن كتبتُ الأمس

كما أشاء على طريقة الأخ الأكبر

-3-

رأسي تفجَّر

رأسي الحقيقي

لا الأسفلُ المتعبُ

وعيوني على هامش المجزرة

أذناي تسمعان أكثر مما يجب

ويعلَقُ فيهما أقل القليل

في منفضة سجائري

جزيرة خضراء

وعروقي

المنسلَّة

والمسحوبة بحذر

من كل أعضاء جسمي

والمرمية على طبقٍ من زجاج

كأس الماء مُغطَّى

أخافُ عليه من حشرة

باب الغرفة يزقزق

وأخشى إزعاج الجيران

وسرير جاري في الطابق الأعلى

يئنُّ مرة أو مرتين كل ليلة

وصوت جاري في الطابق الأسفل

يوقظ أطفاله لصلاة الفجر يوميًا

وقد يضربهم إن تأخَّروا

الموسيقى تنسابُ وتوجعني

أنتظرُ الصباح وحبة أسبرين

لا أريد النوم

منذ شهور

أهرب من النوم

الآن أعيش الألم طريقة

وأحِنُّ إلى الشك

أتقلَّب على جانبي

فأسمع أول صوتٍ للجار الأسفل

ثم

لا موسيقى

بينما يبقى الألم فقط لثوانٍ

يعود صوت جاري

فتتحرك موجة من الألم

القلم قد ينفد منه الحبر

والأذان يبدأ الآن

يبدو أن جاري يسبق عصره

هل أنتظر حبوبًا أخرى

في آخر الدفتر

جدولٌ مزعج

النظر إليه

يوجع رأسي أيضًا

ربما عليّ أن أمزِّق المزيد من الجداول

ليأتي النهر

ربما قميصي الأسود المعلَّق

يذكِّرني بكارثة ما

من المؤكد أن من لبسه في السنة الماضية

يستحق الرثاء

كان سعيدًا

لا يعرف أنه سيكون هنا

بعد سنوات

خارج القميص

القميص الأحمر يذكِّرني بالجوع

والأزرق بعبودية طويلة

ولا ألبس قمصانًا فاتحة الألوان

أحسُّ داخلها بالخطر

كأني مولود جديد

لا ذكريات جيدة تجمعني باللون

الأبيض أو ما سواه

لكن الألوان الأخرى

خطرٌ معروف المصدر

والأبيض فخ

احتمال مجزرة صغيرة

هل أشكر هذا الألم الآن

لأنه يذكرني بوجودي

وتحتي إسفنجٌ قاسٍ

وفوقي سقفٌ مرتفع

وفي الغرفةِ ضوءٌ أبيض قوي

ربما لم أنتبه إلى أنه

قد يكون سبب أرقي في الشهور الأخيرة

لكني أستبعد ذلك...

من قبل التاريخ[11]

الشارعُ سردابٌ فاخر

فارغٌ.. باردٌ كثلاجة

والناسُ على الأرضِ قِطعُ عظام

صراصيرُ على وجهِ البشرة

أورامٌ في نفقِ السيل

وأغنيةٌ معادةٌ ومنسية

ولا معنى لها

على كلِّ حال

*

أصِلُ إلى مدنِ الكذبِ

أفتحُ سمَّ الأشياء

وأستدعي قلبي بإسكاتِه

فلتسكت لغتي

مفرداتي العشرُ الأثيرةُ لن أستعملَها

وسأسافرُ فيما تلقيهِ الطرقاتُ

[11] نُشر هذا النص في مجلة أوراق بتاريخ 18 مارس 2023

أمامي

*

بجوعٍ أزلي

أرقبُ صمتي

وجعي

ذاكرتي

تتوجَّسُ من قرارٍ تافه

ما شأنكَ بتلكَ الأشياء

اتركْها وامضِ

وعشْ في الدربِ وحيدًا

كشهاب

*

اطلقْ صرختَكَ

وسوِّ السهل

الكرةُ الأرضيةُ بسيطة

لكنَّ داخلَكَ معقَّد

أشاركُ وأشربُ شيئًا

ثمَّ أراقبُ من جديد

البردُ قديمٌ وجديد

وعظامي وحدَها قصَّة...

*

صوت (1)

علِّمي صوتي بأن ينسى فمي

علِّمي بي لي دمي

أرسليني في اليبابْ

اقتليني كلَّما الصرصارُ غنَّى

اجهلي لغةَ النملِ

أيقظي كلَّ الذبابْ

صوت (2)

راوغتُ صوتي في التضاريسِ

وبكيتُ في بحرِ الرؤوسِ

سقطتْ قلاعُ الأرضِ

ماتَ المُشتَهى

وغدا الفراغُ قِرى نصوصي

صوت (3)

عامتْ على جثَّتي كلُّ الحكاياتِ

أنتِ فمي ودمي

وبياضُ أبياتي

من أينَ أمنحُها شعرًا ليكتبُها

أم كيف أسلبُها كلَّ النبوَّاتِ

ما لي أعاتبُها

كالنومِ أرسلُها

اللعنةُ التصقتْ

في جلدِ آهاتي

صوت (4)

أنا لستُ من هذا الخرابْ

إني ولدتُ بلا فمٍ

وجعلتُ مرساتي السرابْ

ورحلتُ نحوَ النارِ مُلقًى

في أظافرها

وناديتُ الصحابْ

*

المشاةُ يرسمونَ جيدًا

ويمثِّلون أدوارهم

وأنتَ تنتظرُ إسدالَ الستار

*

لا لغةَ لكَ

اللغةُ لهم

واللغاتُ اللغاتُ

ما بينَ ضياعٍ في سنتيمتراتِ الكلماتِ اليومية وجدرانِ الهياكل السميكة خلقَتْكَ أصمًّا ورويتَ الماء... وعرفتَ بأنَّ الأسماءَ غيَّةُ اللقيط

ومرمى الأهداف

ربما يبدأُ الأمرُ بحذفِ الكلمات ورفضِ الأنساق وإلا ما معنى لغة الكلب البشري ولماذا تختلفُ عن أي كلبٍ حقيقيٍ صحيح...

*

كلُّ الأشكالِ عراء

كلُّ الكلماتِ هراء

فلماذا نختار

ولماذا نعطي النارَ الأسماءَ

وهي الأولى والآخرةُ

وهي خلاصُ الإنسانِ

ومعركةُ الصورةِ في وحدتِها

مع التشظِّي

*

الكلماتُ عصيرٌ كوبيٌّ

رائحةُ سمك

قلبٌ موشوم

موسيقا الغرفة

وملاذُ الغريب

*

الكلماتُ طراوةُ بال

أرضُ الصحراء

عيشٌ أفقي

لا إنسانَ ولا ذاكرة

كلُّ الأسمال

*

الكلماتُ براءتُنا غمِسَتْ في السمِّ

ونادتْ كلَّ طقوسِ الليلِ

وعامتْ في صحراءَ أخرى

كي ترتدَّ على صمتِ الإنسِ

وتصبحَ في الطرقاتِ جنازة

تتسكبُ الآفاقُ لديها

دونَ رصاصةِ رحمة

*

الكلماتُ إذا ما نُطقَتْ في السر

تشظَّى الليلُ ليرسلَها

ويعلِّمنا نسقًا آخر

*

الكلماتُ المرصودةُ للسمِّ

نشيدٌ متقاطر

*

الكلماتُ انتظرتْ أمواجًا أخرى

كي تتكاثرَ

كي تتكاثفَ

كي تتشكَّلَ

كي تتمدَّدَ

كي لا تمضي

كي لا تغدو.. حقيقة

*

الكلماتُ على الأيامِ إذا شدَّتْها

أو بلغَتْها

أو بلعَتْها

أو ضربَتْها

كانتْ للشيطانِ إمام

*

الكلماتُ رياحُ الصين

تنادي الطفلَ المكسيكيَّ

ليغتسلَ بنهرِ النيلِ

ويعبرَ في مدنِ الرومان

ويظهرُ في الآخِر كنغر

*

الكلماتُ تفشَّتْ في الليل

وروَّتْ متعتَه القصوى

وغابتْ إثرَ عزيمتِها

لكنَّ الإنسانَ تقشَّر

*

الكلماتُ اليوم تناديكَ

وتعرفُ أنَّكَ دونَ الاسم

وتحملُ بحَّاتِ الأصوات

*

الكلماتُ بدايتُك الصغرى يا وطني

كي أقتلكَ

وأسيرُ بلا يومٍ ناقص

بل أزدادُ على دفعاتٍ

فاسمي: الشوق

*

الكلماتُ رسالتُها للموتِ

بأني المقتولُ طويلًا

وقليلًا ما أحيا

في طقسِ الأرض

لكنِّي أعرف صوتي يومًا إنْ جئتُ

*

الكلماتُ تريدُ بأن تنساني

وأريدُ بأن أحياها

وتريدُ بأن تقتلَني

وأريدُ بأن يتكرَّرَ هذا اليوم

ويبقى المعجزُ في اللاشيء تراكمه

*

الكلماتُ عمودُ العيدِ على بيتي

وذاكرةُ الأسنانِ بفكّي

وخواءُ نهاراتِ الصيف

وأقدامي في البرد

وفاكهةٌ معطوبة أجلسَتْني في السرير

*

كيف سأجمعُ تلكَ الأشياءَ

بكلمةْ

ولماذا أتقِنُ فنَّ العومِ

وأجهلُ فنَّ القسمةْ

وهل الأصداء إذا رغبت في الوخزِ

ستعطيني اسمهْ

وهل الطوفانُ المستعرُ المجنونُ

على طرقاتِ حكايتنا

ابنٌ للموت

*

ما أجمل أن تكتب النصوص بعد الاستمناء

لتصفَ الفراغَ العالميَّ المقيم

من قبل التاريخ إلى عصر الذرة.

نرسيس.. مات[12]

أعبرُ مُدَنَ الماءِ

مثلَ صُدْفةْ

منسابًا كالضوءِ

صغيرًا كالذكرى

شلالًا دافقًا

نحوَ عوالمَ لا تلبَثُ

أن تَتخلَّقَ حولي

وتزيدَ بكفِّي

وتُكوِّنَ أغنيتي

اللا صوتية

في الصوتِ أنا آخِرُهُ

في الواقعِ لا شيء

في الضوءِ مدىً

يتَّسعُ لكم

لتعيشوا فيهِ دونَ ظلال

[12] نُشر هذا النص في موقع "جدلية" بتاريخ 4 فبراير 2023

تمشونَ فُرادى وجماعات

تبنونَ بيوتًا من الخَيْزُران

وتسقفونَها ببعضِ الأغصان

وسَعَفِ النخل

وتجِدونَ الشمسَ إذا مرَّت فيها

تحوَّلتْ إلى بَرْدٍ في الصيف

وبُخارٍ في الشتاء

وطعامُكم في القريةِ

عسلٌ أزرق

ينزلُ مغزولًا مثلَ الغيم

ترونَه بعيدًا

ثم يسَّاقطُ بينكم كُراتٍ ملوَّنة

تغسلونَها في قِدورٍ على الموقدِ

فتتحوَّل إلى بطاطا وشمندر

أو تُقشِّرونها فتجدونَ داخلَها ثمارَ الكيوي

الزمانُ نهارٌ طويلٌ يُراوحُ في الضحى

والمكانُ محدودٌ جدًا إنْ رأيتَهُ من الأسفل

لكنَّه يتَّسعُ صعودًا

ويُسقِطُ سبعةَ أطيافٍ

على كلِّ لحظة

بلدي في الأرضِ الأفقيةِ ضيّقةٌ

وبلادي في الآفاقِ بلا عددِ

لحظتي تجتمعُ فيها الدهور

وعيوني تجتمعُ لتراقبَ كل واحدٍ منكم أمامَ كوخه

كأنَّه البشريةُ كلُّها أو ما بقيَ منها

ولهذا لا أفقدُ إيماني...

*

أعجبتُ بنفسي منذُ زمن

يومَ بدأتُ بصوغِ الكلمات

وعرفتُ البيت

وأن البيتَ يوجدُ في مستقبلٍ ما غامض

أما الكلماتُ دمارٌ قاتل

وشظايا تقذفها نحوي الأيام

فألعبُ بها قليلًا

ثم أرميها

لا متعةَ عندي

في الكلماتِ صدى

في الليلِ بقاءٌ متمدِّد

لا أرقُبُهُ

في الشمسِ الأولى

في ضحكتِها

في نظرتِها

في غمَّازَتِها على أسفلِ الخدِّ الأيمن

في الكذبِ الطويلِ الجميل

في رهانِ المجهول

في كلبٍ عاطلٍ عن الوفاء

وحقيقةٍ تبدأُ كل لحظةٍ من نفسِها

في شُطآنٍ بلا حَدٍّ

في رحلةِ صيَّادينَ وراءَ

نهاراتٍ لا تُنسى

أو تقتربُ منها حصاتي

أو سُبُلي

في ريحِ الوقتِ أجفّفُهُ

وأذروهُ

لا أملِكُهُ ولا يملِكُني

له أيَّامُهُ

ولي زمني

له تاريخُهُ الطويلُ في الرمز

ولي همستي البسيطة التي لم تتغيَّر

وأعرفُ أنه لا معنى لها

لا وقتَ لشيء

حتى للكذبِ الجميل

لا أملَ بشيء

ولا ذكرى تلبثُ دونَ حصار

ولا غدَ يتفتَّحُ إلا في مداراتِ اللحظة

فلماذا أطاردُ أوهامي

وأنا أملِكُها

ولماذا أبحثُ عن شمسي

في عتمِ الواقع

وأوازي نفسي والجلَّادينَ

وأعطيهم فيضًا يسلبُني

الرؤية

أعتادُ عليهم أحيانًا

وأراهم من خلفِ الشاشة

يَمضونَ

ويُستلبونَ

وتمرُّ دقائقَ أصبحُ منهم

إذْ كلُّ دقيقة

مرَّتْ كالخيطِ على دمِهم

أبغي قنصَ شذاها

وتكسيرَ إطاراتِ الأيام

ونبشَ الصحراءِ الأولى

من مدنِ التيه

وإعادةِ زمني المسلوب

أراهُ الآن

فدعوني أغمرُ هذا الصمتَ

قليلًا

ودعوا الكلماتِ تسافرُ كرصيفٍ

حَجَريّ وترتِّبَ قصَّتها

لكنِّي لن أذهبَ معها...

*

في داخلي العالَمُ

والخارجُ سراب

أعُدُّ به

أرسمُه

أفكِّرُ فيهِ وعنه

ولا أناديه

لا شيءَ ليصلَ إليّ

ولا مكانَ لأنطلقَ منهُ

بحري وُسْعُ الفضاء

حظيرةٌ بكل الألوان

أوشام

جذور

شمسٌ مقليةٌ في دكاكين

رياحٌ معصورةٌ في زجاجات

أيتامٌ مجبرونَ على قولِ: بابا

أوهامٌ تتساقطُ

في سبتِ الأيامِ

وأردُّها لكم كلَّ مرة

والهواءُ على الجسرِ شفَّ وغاب

أركضُ نحوَهُ بسرعة

أمامي خمسُ ثوانٍ فقط

قبلَ أن يختفي البابُ الأثيريّ

أترككم بسلام.

القزم[13]

يومًا ما خرجتِ أميرةً من قلعة

ورأيتُ في عينيكِ أني أمير

كيف سيقتنعُ الضفدعُ الآن بتلكَ القصة؟

*

نتكلم كثيرًا عندما لا نعرف شيئًا

ولهذا أنساكِ كثيرًا

وأكتب

*

الهواءُ الذي يتعثَّر في رئتي

كان ينسابُ

في تلكَ الشوارع بِحريَّة

*

الأضواء تومضُ من بعيد

أسقطُ في الماء

لأرى:

[13] هذا النص مستوحى من قصة "القزم" لهيرمان هيسه

...

...

...

لأنِّي مشوَّه

ظلِّي يعرُج

وحكايتي طويلة

/

ما فقدتُه طويلًا

يسيل على شفاهي

ظمأً

/

جميلة وقاسية

وباردة

ينتظرها نيسان

/

بحار بجرح قديم

وعيون سوداء

أكلَ قلبَها

/

الأميرة في قصرها

كل شيء لها

وأنا تحفةٌ في هذا السوق

/

كلبي سقط عن الدرج

كُسِرتْ ساقه

والضوء

/

بلساني أغويتُها

قبل وبعد

الربيع

/

بعيوني رأيتُ صوتي

يقع

وساقايَ تطولان

/

بيديَّ صنعتُ السمَّ

قدَّمتُه

وتذوَّقتُه

/

أنا والبحار

سقطنا

والأميرة حرَّة

رياح الشمال

-1-

مثل خريف متواصل في بلد متوسطي

تعيش الأشكال حياة متقطعة

في رحلتها المألوفة بالملح

الحقيقة خلف عيون الوقت

ترسل أشلاء الموتى من أشجارها

ويفوت النسيان لينسلخ عنها

ويتركنا كل لحظة أمام الرصاصة

الجريح معلَّق مثل حدائق بابل

دونَ وكالة إعلانية

تنفجر أياديَّ السبع وراء فراغ كوني

مفتوح المصدر

رحلتُها الصمَّاءُ ترسلنا خلفَ وجوهٍ

تبتكر الموت ولا تتساقط

-2-

يهطل المطر من ارتفاع عشرة أدوار

بحبَّاتٍ أكبر

وصوتٍ أعلى

من سقف بناية الجيران

على مظلات الشوارع

تأتي العواصف في الليل

ويغني محمد منير سعيدًا

عن حلمك

اطلب من محمد منير أن لا يحشر أنفه في حياتك

وراقب المشهد

-3-

/

أنتم الخارجون عن السرب

ضحايا

إلى الأبد

حتى يسترجع هذا الجسد

حق الكذبة

/

سنقتل عشرة منكم اليوم

لأن أحد الملوك

يشعر بالملل

/

سنقتل عشرين منكم غدًا

فقد اعتدنا الأمر

فقط

/

قتلنا ثلاثين منكم البارحة

ولا تتذكرون ذلك

أصلًا

/

سنقتل الجميع في النهاية

ولكننا حاليًا

سعداء بوجودكم

/

-4-

أمام شاشات كثيرة في غرفة سوداء

يغني:

«أنا آسف لأني

ما كان شيء غصب عني»

ويعتذر من كل صورة...

نحن الموجودين داخل الشاشات

في تلك الحكايات المبتورة

لدينا حرية التأويل

لكننا لا نريدها

سامحناكم بالمعنى أيضًا

-5-

الحنين الذي يحفُّ بي كجلسة قديمة

أريد أن أصادقه في عمرٍ آخر...

لا أبكي عندما أتذكر تلك السنوات

إذ للشاعر صوتٌ، وللحياة...

كنت غبيًا لدرجة أن أمتلك قلبًا

قبل أن تهدأ ريح الأرض

ويموت عمالقة الشمال...

وأن ذلك العام الذي سيكون فيه

موت وجوع وقتل

وكل ما خطر على بال المأساة

من الحفر.. النقرات..

الرعشات

يجيء يعشّش في الريح

ويشيع الألفة في الهرب

ويزيد الأموات صراخًا

ويسمّي الشارع ديستوبيا

ويزيح بياض الليل

ببياض القلب

المفتوح حديثًا

أتى وذهب

هكذا...

الليل لم يكن صديقًا

ولو سقطت فيه كل النجوم

والصباح لم يكن رفيقًا

ولو بدأناه بما نحب من الأغاني

كانت الأيام تمهيدًا طويلًا أو قصيرًا لمجزرة

-6-

بقيت لنا عدة سنوات في الكهف.

سنموت كل يوم.

ميراثنا ثمر القتل وبعض القبل.

لا أنهار لتجمع، بل سنصير فقاعاتٍ في الجو.

الرِّقة لا تعني أن تفهم جثة.

الشعلات على الدرب لا تصل الهاوية.. أنت البحر.

زالت كل وجوه البشر بفضل الألفة، والحَمام يفترش الشوك وحيدًا.

لسنا أحرارًا.. لكن تنفسنا هبةٌ للحرية.

لا يسقط شيء في الصورة.. اللوحة جاهزة للعرض.

الخطوات التي تخرجك من الإطار خمسون، لا يجدي أن تسترق السمع.. ستَهوي..

وتَهوي..

وتُستنسَخ...

-7-

الغابة تصرخ

تنسخ الأوراق

من قبل ليلى...

لا تترك للأنقاض

غير أريكتها

مثل الدرج...

بيدي شاعر

قتل الذئب الجدة

ونام سعيدًا...

وراء الصوت الأول

اختفى الإنسان الماكر

ووصل العيد...

-8-

جعلتْنا الغربةُ أقوى وأقسى

أمطرتِ الأنقاضَ بلا إذن الغيم

ضربتْنا بنيزك

أورثتْ قناديلَنا شجرَ الفيل

أبعدتْ عيونَنا عن حمامِ السفح

أكثَرْنا من صفعِ الود

أفرَطْنا في الحنين

أخفقْنا في الرسائل

أخرجتْنا من بلادِ الموج

وربَّتْ في داخلنا ديناصورات

-9-

أتى الشتاء

وغدت الكآبة الروسية أكاذيب رسمية

كل عام تزداد الطرقات ويقلُّ المعنى

والأصداف التي نجمعها نتركها

حتى تلك الجزر المعزولة في أقاصي البحار

حتى رياح الشمال التي تحملنا نحو النار

حتى الرئات المسدودة التي تكتب بكل الألوان

حتى القلب الذي يركل ما يلقاه من أشياء

السماء نظيفة من الحبر

والأرض صغيرة على الذكرى

كأن كل تلك النظرات والأصوات والشهقات

طعنات استنفدت سبلها

حتى الليل الذي ينقلنا إلى ليل

بات حصيرًا مفروشًا

ليجلس عليه كل العبيد

ضد الطبيعة[14]

لأني لا أملك سيارة

والشرارات تطقطق في المصانع الكبرى

أحب شرطة المرور.

لأن حبيبتي خائنة

والله مع المدفع الأقوى

لدي سلة تفاح.

لأن الثلج على الطريق

وفاتورة الكهرباء مرتفعة

أرمي للعالم عظْمة.

لأن كل البيادق في اللعبة أصدقائي

وأجيد إطلاق الأسماء

لا أهتم بموتي.

لأن الرسوم على الطرقات إعلانات

---

[14] نُشر هذا النص في موقع رابطة الكتاب السوريين بتاريخ 14 يوليو 2022

وأنا مصاب بالصمم

لا أنطق حرفًا مفهومًا.

لأن الذئاب وليلى خطتهما مكشوفة

وآخر ساعة لبستها لم تكن ضد الماء

لا تعنيني القصة...

لأني طبيعي جدًا

وناب الشارع أزرق

أنا ضد الطبيعة.

حالات

-1-

لم أكره في حياتي سوى اللغة العالية والجمل المفيدة

أنا الساكن الدائم في سقف الغرفة

وجعًا أفقيًا

لا يهدأ

-2-

أستيقظ في صباح فاتر

أفكر أول شيء

أنني سأختفي بعد سنوات

ولن تبق في هذا المكان

لطخة حبر..

من توحّد بالسراب؟

من جنَّ آلاف المرات

وفكَّر كالضوء

ومشى كالمجنون

وتكلَّم بخطوات مرتبكة؟

-3-

أجلس على حافة العالم

ورائي الجميع

أراهم يمضون ويجيئون

كالثلج على شاشة التلفزيون

ولا أستطيع تذكرهم

أعرف فقط أن الحياة صارت حلمًا

-4-

ماذا لو كنتَ قطعة دجاج

وهذا العالم زيت

ماذا لو كنتَ قطعة بوظة

والعالم ثلاجة

ماذا لو كنتَ أنت

والعالم سِواك

-5-

أقول للطريقِ العابرِ نحوَ الموت

المنقوعِ في قفص

المحرومِ من الطيران

الشاربِ حوض الذات

الميّتِ سلفًا

الراعدِ قُدمًا

المستوفي شروط

النزاهة والنقاهة

المأساويِّ كالنار

المنقسمِ على الأشياء

المرسومِ ظمأ

لماذا؟

-6-

شيءٌ بلا سرٍ يكافئه

ضجيج

-7-

لا طاقة لي لتعلم مفردات جديدة

أو مقابلة الناس

أهرب من الجميع

ممن يعزمني على كأس شاي

ومن يريد استعارة أدوات الرسم

وعندما أتحدَّث تزداد رغبتي أكثر

بالغربة

تصبح مفرداتي شاهدة قبري

المنتقلة

وكلما أهملت المفردات تنقذني الأرقام

وامتلك غروري كلَّه بفضلها

وعندها يتحطَّم شيء ما

سيكون لي أصدقاء أتابع معهم الدوري السوري والإسباني والإنكليزي

لكنهم على الورق

وعندما اتصل بأحدهم بعد سنوات

اكتشف أني لا أعرفهم

-8-

ما المعنى الباقي

ولماذا نستمرُّ كل يوم

يومًا جديدًا

ولماذا لا ننتحر؟

في الحقيقة

كل شيء جميل

-9-

أترك آخر رشفة من آخر فنجان قهوة

وأنشغل عنها بأشياء أخرى

ثم أشربها قبل النوم

كي لا أرى أحلامًا حلوة

وجهكِ

مثل 99% من الأشياء

بلا معنى

ولا مغزى

فراغ

لا شيء

كعك

نتقلَّبُ في الطرقاتِ

وندفعُ فاتورةَ الفرنِ

في الطوابير

حتى نمتلئَ على آخِرِنا

ولا نَصِلُ المعدةَ سالمين

أُلفة

كلبٌ

على شاطئِ البحر

كصديقٍ أخير

كانَ ضائعًا

لم يفهمهُ أحدٌ

سواي

هايكو – متة

علبة فارغة

تتدحرج

بعد الربيع

هايكو – كورونا

الأشواك

تخرج من حلوقنا

تعيد اكتشاف الطريق

قمر

قمرٌ في السماء

قمرٌ في الرصيف

قمرٌ دونَ ماء

ظل

هذه الشمس

التي تُسقطني كل يوم ككذبة

ستسقط أيضًا

ككذبة

روما

الخيبة بالجملة،

والهروب متاح.

وروما التي تنتظر، لتحترق

أنا

لم أرنَّ جرس الجيران يومًا.

كنتُ أهرب فقط.

حب

(إلى رياض الصالح الحسين)

في هذا الشارع

يحدث انفجار كل فترة

تعالَ نمرّ فيه

وننجو

في هذه المدينة

يموت الناس من الجوع

تعالَ نعيش فيها

قليلًا

تعالَ نحبها

ونكتئب

الشعر

(إلى أدونيس)

استردَّتْ صوتَها

قلَّمتْ أظفارَ غربَتِها

السماءُ

/

أتتِ الأرضُ لكي تكذبا

لمَّت الأشلاءَ.. جمعَتْها

ورمَتْها للكلاب

/

أحرِجُ ذاكرتي أحيانًا

بالصمتِ على الموتى

وأعذِّبُها طويلًا

بالكسل

/

الجمالُ على

مسافاتٍ قليلةْ

ما قيمةُ الإنسانِ في الأرضِ الثقيلةْ

إلى لقمان ديركي

أنتَ والحلوة والقمر

أربعةُ أقمار

ورامبو يبيع الجلود

ولوركا يتمدد على العشب

والبقيةُ أيضًا في شؤونهم اليومية المعتادة.

«العجوز والبحر»

بعد أن عرفت الأشياء أنه لا معنى لها

صار بوسعنا أن نرمي ما نشاء من الأشياء في البحر

بينما نقول وداعًا

/

كلما وصلت اللقمة.. لفم السمكة، كنتُ أرميها

وأحاولُ أن أحملَ البحر معي

/

ستضيع في بحر التفاصيل حتى تأتي أسماك القرش، أخبرني هيمنجواي ذات مساء

/

أتمسك بآخر قطرة من طفولتي

قطرة صغيرة لا لزوم لها

كأي نهر

كتابة

-1-

أنتم تنظرون إلى القمر

وأنا أنظر إلى إصبعي

-2-

في الماضي حلمت أن أكون أجمل شخص وحيد في الحاضر

ولا أدري ما الذي أفعله الآن...

-3-

كنا نعبد النار ونعطي الأشياءَ أسماءها. وكلما ابتعدتْ، رأيناها

كل شيء.

-4-

هل يمكن اصطياد الذبابة دون طعم؟

هل السهر وأنت لا تفكر في شيء مفيد؟

هل الأشياء الموجودة على الأرض جميلة،

أم ذاك الذي على الشجرة؟

-5-

لديَّ صديق.. سافر إلى مكان بعيد، ويغيِّر صورته الشخصية كل سبعة أعوام، ولا يحبُّ أن يعيش معكم.

إنه ديوجين خجولٌ جدًا.

لديَّ صديق.. فشل في كل شيء،

إنه الوحيد الذي يفهمني. لديَّ صديق.. يستمع إلى الشعر ولا يقرؤه، بات أصمًا،

ولكنه نجا من العمى.

-6-

كذبتي الدائمة التي أُعيدُها بأشكالٍ مختلفة وأسمِّيها قصائد

تتحدَّث عن شيءٍ واحد، لا يهمُّ أحدًا سواي

ومع أني لا أعرف أين ضاع صوتي بالتحديد

أواصلُ البحث عنه...

ربما كانت أوَّل قصيدة قرأتُها هي السبب

أو أوَّل قصيدة كتبتُها

فقد عرفتُ بعدهما معنى الصمت

وأن الإنسان يستطيع أن يعيش بلا صوت

في عالمٍ موازٍ يرافقنا في النهارات

وإن كنا نغضُّ قليلًا

وإن كنا نحنُّ طويلًا في الليل...

ربما كانت أولى محاولات الانتحار

أو أولى محاولات العيش

فكل محاولة هي الأولى

وجميعها متشابهة

وكلها تفشل في النهاية...

ربما كانت أوَّل مرة أعود فيها إلى بلاد

استعادتْ وجهها

لاكتشفَ أن الوجوه الحقيقية

أشدُّ قبحًا من الصور والاستعارات

وأننا محاصرون بين الأفاعي وجلودها...

ربما كانت أيام الأسبوع هي السبب

فهي الوحيدة التي تغيِّر ترتيب الأشياء

ولولاها لم أنتبه لذلك

ولن أتحدَّث عن الفصول...

ربما كان الصوت غير ضروري

وأنا أبحث عنه فقط لأجد شيئًا يشغلني

والقصيدة قبر جديد أغادره دومًا

وأبقى شبحًا هائمًا دون صوت...

-7-

بقيت قطعة

لم يأكلها أحد

من قصيدة البارحة.

كان النهار إشارات

والليل تجليات

دون البوح بالسر الأعظم.

إذا سألتني ماذا يحدُّ الأفق

أقول بأن الأرض

حظيرة.

لا تنتظر ممن أصبحوا بشرًا

بالصدفة

إنـهاء قصيدة.

-8-

يومًا ما قد يختفي الغاوون، عندها سيرفع كل شاعر كلمته رايةً أخيرة.

-9-

أولئك الذين كتبوا عنكِ

لم يحبوا عينيكِ

كل ما في الأمر أنـها لم تكن مبتذلة

لـهذه الدرجة

ما بعد القصيدة

لأتحدَّثَ قليلًا

عن كوابيسَ تحوَّلت إلى ضحكات

أتجاهل حياتي

وحياتكم

وحياة الإنسان على الأرض

*

لأرسمَ قليلًا

من الأشجار على وجه الصحو

أنسى الدماء

والدموع

وكل ما يقذفه لنا البحر

*

لأجلسَ قليلًا

على كرسيٍ مخلَّعٍ في حديقة

أُسقِط الحكومة

والنظام العالمي الجديد

والمتسوِّل الذي يسحب من يدي مشروب الطاقة

*

لأبدأ قليلًا

بقصيدة ما بعد حداثية

ألعن إدغار آلان بو

وبودلير

وكل شعراء الجاهلية

مدن الأشياء[15]

أحاولُ أن لا أكتئبَ

أن لا أكتبَ

أن لا أرسلَ مزيدًا من الطيورِ

خلفَ الأفقِ

لديَّ لعنتي

وأداريها فقط كي لا تنطفئ

*

يحمل البشرُ أسماءهم

يختبرونَ أيامهم

ويبيعونَ أحلامهم

في دكاكين مخلوعةِ الباب

كتفُ النصّ تدلَّتْ

فوق رقْبة الضحية

[15] نُشر هذا النص في موقع رابطة الكتاب السوريين بتاريخ 1 نوفمبر 2022

*

لأننا نكره الكذب

بل لأننا محترفون فيه

يلتصقُ بجلودنا

ويمنعنا من التنفُّس

يرسمُ ضحكاتنا

ويرسلُها صفراءَ في الريح

*

لأننا عبيدُ أمنيات

لأننا العبيدُ في الحياة

تغدو الأمنية

معجزةً صغيرةً وشجرة

تغدو الأمنية

صخرةً كبيرة

نحملُها للزينة

ونحن نمضي إلى المجزرة

*

لأننا كلاب

لا نفهمُ الخراب جيدًا

بل نتقنُ السباب

علَّمتنا الحربُ أسماءَ البشر

مدنَ الأشياء

ميعادَ المواليد

وأفياءَ الزهَر

ثم في لحظةٍ نسفَتْها

*

لأننا جدران

حاربْنا الجدران طويلًا

ووصلنا إلى الضياء

سالمين

عرفنا أننا نسينا جزأَنا

المعجونَ من ماءٍ وطين

وحملنا الإسمنت

في قلوبنا

ومضينا هازئين

بالحبِ

نعرف فنَّ العوم في الزمان

وأن عوامل التعرية

تستغرقُ آلافَ السنين

*

لأننا حمير

نسير في ذا الدرب واثقين

لم نترك علاماتٍ كثيرة

إنه الدرب بنا لا بالشهودْ

إنه منا وإن غابَ نشيدْ

إننا بالدرب غارقون

إن مضى اليوم

وإن غابتْ حدودْ

كل ما في الأرض يستوقفنا

مثلما كنا وإن عُدْنا يعودْ

رسائل

وراءَ جميعِ الجهات، في آخرِ الأرض

جسدكِ سكّين

وفمي عرق.

أرسلُ لي في البلدِ البعيد

سبعَ رسائل

تشرحُ حالي:

قامةُ الأبجدية

اضطرابُ السلام

عسيسُ الخرف.

أنقل أخباري

لا كالغيم

ولكن كرداءِ الأسماك.

خريفٌ آخر

يتأخّرُ في الأرض

ينكشُ قبري.

اسمك أيام للريح

أديان، في جسدٍ يخشى

أن يرجو...

أُراكِمُ في الظلّ سبع بحور

وأوازنُها

حتى تنقَضَّ على بصري.

المرآة

البلاد التي كنا نحبها ماتت.. حتى في المرآة

البلاد التي كنا نحبها لم تكن يومًا.. سوى في المرآة

البلاد التي كنا نحبها تعيش.. في مرايانا المكسورة

البلاد التي كنا نحبها لا تموت.. ما بقي الرمل

البلاد التي كنا نحبها ليست لنا.. بل للسحر والكيمياء

البلاد التي كنا نحبها هي نحن.. عندما نختفي

البلاد التي كنا نحبها...

مع هذا ترانا

أمواتًا ينهشون بعضهم، دون مرايا

أحيانًا

يحبُّ الناس أشياءَ لا يعرفونها

يعيشونَ في أماكنَ لا يحبّونها

ويربطهم بها انتماءٌ خفيف

الأوجاع تتبلور

الوجوه

تتلاشى

الشارع عشيرة تتقطع، وتتواصل

ويمضي السيل

بعض الموت أحيانًا هو الدفء الوحيد

حوار

قال:
كان لدينا مبدأ
أن نفعل ما نريد
ثم ننتحر
لم نفعل ما نريد
ولم ننتحر
لكن كان لنا مبدأ

قلتُ:
أتمنى لو أني ولدتُ برأسٍ أصغر
وبعض العضلات
التي يبدو أنني نسيتُها في بطن
أمي
أتمنى لو أن شِعري لم يتساقط
في عمرٍ مبكّرٍ
ولو امتلكتُ بعض الأمل

بارانويا

وأنا آخذ صورةً دون أن أنتبه

مرُّوا

لو كنتُ مهمًا لقتلني الجنود

لكني لا أكره المخبرين

فهُم وحدهم من يقرؤني

من أنتم؟

نحن جيل التلفزيون الذين أردنا
أن نصبح نجومًا
ونبيعُ الوطن كلَّه بقشرة بصلة
هل تظنون أن أية فكرة تعنينا؟

نحن لا شيء.. ولكنكم تخافون
من خيالكم

وجودية

الجميعُ ينتظرونَ الجميع
ليموتوا
كي يعيشوا قليلًا
في بلادٍ قليلة
/
لا أعرف عدد الأسنان
التي سقطت مني على هذه الأرض
ولكني أعرف الأحجار التي ضربتني
حجرًا حجرًا
/
لن أنتظر حتى أموت ميتة طبيعية
سأقتلكم كل يوم
وأبقى وحدي
/
الوقت غير مهم
عندما تبتعد عن الآخرين
فبعد قتلهم
تستطيع استعادتهم بسيجارة

طيف

ولدتُ في البحرِ
بلا طوابع

مثل مروحةٍ
في سقفِ العالم

لها عينان ورأسٌ واحد
وألف دماغ

تنادي الشجرة
لكن تتنزَّهُ في الصحراء

أنتِ

لن يُخرجني من هذا الاكتئاب

شيء

لذا سأحضركم جميعًا إليه

*

السجن بدأ مع الميلاد

ولا حل لهذا

القلب الجريء

سوى الركض

*

الحب على الأشجار

كثير

لكني متعب

وأنتظر سقوط التفاحة

*

الرحلة إلى قلبي طويلة

تستطيعين اختصارها

بجملةْ

*

البيت حيث يكون لنا مكان

لنسمع ما نريد

ونرى ما نريد

ونرمي الأوساخ كما نريد

*

العيون على الأشجار

القلب في الميعاد

البطاريق في السهول

الأنفاق في المطر

الليل في الوادي

الذئاب على المطارق

الرياح على الطرقات

وأنتِ بعيدةْ

*

أتمنى أن ألتقي بأناس عاديين

وأنسى هذه الحرب الطويلة

*

يظنُّ أبي أنه لم يضربني

بما فيه الكفاية

كلُّ حبيباتي كنَّ أمهات فاشلات

وأنتظر أن تربِّيني الليالي

لأحبكِ

*

أنا الشاعر الأكثر موهبة

والأقل حظًّا

أنا الصيف الأخير

وشتائي مزمن

أنا سلطانٌ على جميع الأزمنة

ومكاني هنا

معكِ فقط أنتِ...

أيام بلا نهاية

-1-

جمعناها

وهي

تسقط

من

السماء

ريشةً ريشة

كل مئتي أو ثلاثة آلاف أو مئة مليون عام

على أيدينا أثر

والعين فراغ

-2-

لم تفقد شيئًا

حين غاب النهار الآفل

لم تعرف شيئًا عن هذا الليل

لستَ مصابًا بكورونا

ولكن العالم بلا طعم

-3-

مأساتنا

تضحك كل يوم

تعلمنا هذا منها

-4-

الأجيال القادمة ستطير

من الشرفات

والشوارع

وقد تُحلِّق في الغرفة

لخفَّة ظلِّها

-5-

منذ ديوجين، نحنُّ إلى صوتنا الكلبي

ماذا لو كان أصلنا طيور حمام؟

-6-

في داخلي خمسة أشخاص:

اثنان يحبانه، واثنان يكرهانه

والخامس لم يعرفه أصلًا

-7-

عندما أفكر، أرى الأشياء تافهة

وعندما لا أفكر، أستيقظ

عندما أدخن، أبحثُ عن ثمن السجائر

وعندما لا أدخن، أصبحُ شجرة

عندما أحب، أرسم مثلث حزني الصغير

وعندما لا أحب، أوحِّدُ الله

-8-

قد تتخلَّص من أفضل ما فيك

أنتَ لستَ الزمن

-9-

يعزف فيثاغورث

ويغني ديكارت

وأنا أرفض الاستماع

المحتويات

القسم الأول:

القسم الثاني:

حسين جرود

كاتب سوري من مواليد 1991

صدر له:

فلسفة القاع – شعر – فرنسا 2016

المجموعة الناقصة – شعر – رابطة الكتاب السوريين 2021

الكتاب رقم صفر – شعر – 2022

نجم وسارة – رواية – 2022